ونلتقي يومًا ما

عمر طارق المغربي

كتوباتي
kotobati

ونلتقي يومًا ما

إهداء...

إلى كل...
من يبحث عن شروقٍ جديد في حكايات الحياة....
إلى الأصدقاء الذين شاركوني لحظات الفرح والحزن....
إلى الأسرة التي كانت دومًا سندي ودعمي....
وإلى كل قارئٍ شغوفٍ لا يكف عن السعي وراء الحروف والكلمات:

"نهديكم هذه الرواية بقلوب نابضة بالأمل...
وأرواح تترقب اللقاءات القادمة. قد تفترق طرقنا اليوم، لكننا نؤمن أن الأقدار ستجمعنا لقاءً في أفق جديد...
ونلتقي يومًا ما حيث تشرق الشمس بنور جديد وتترنم الرياح بحكاياتٍ لم تكتمل بعد."

مع خالص المحبة والتقدير...

في وسط هذا الزحام الذي أعيشه، بمرور الوقت اللعين هذا، بمرور الساعات بل السنين، ظل سؤال، سؤال واحد فقط لا غير في ذهني
ونلتقي يومًا ما؟

مقدمة....

(عمر طارق المغربي)

_في زحام الأيام وتعاقب الأزمنة، تتسارع نبضات القلوب بتواتر الحياة المعاش. لكن هناك لحظات معلقة في عالمنا، تتوقف فيها عقارب الساعة، وتتردد فيها أنفاسنا بين شغف الحب وحنين الذكريات. كانوا هم، يومًا ما، في ماضٍ مختبئ بين طيات الحنين، حيث التقى العاشقان على رصيف محطة القطار، عيناهما تحملان حكايتهما، وقلباهما ينبضان بنغمات الأنغام الأبدية.

ما بين نبضات القلب ولهفة اللقاء، تكتب ذرات الهواء قصصًا عن الشوق الذي لا يمحى، عن تلك اللحظات المختلسة التي تصبح ذكريات تُحكى تحت ظلال غروب الشمس. أغمض عينيك قليلاً، ودع روحك تسافر عبر أجنحة الخيال إلى وطنٍ يتأرجح بين الحاضر والماضي، حيث تذوب الكلمات في بحر الأحاسيس، وتتصافح الأرواح في ساحة الحنين للأرض والوطن.

لتبدأ رحلة من سطر أول ينبض بالشوق، وكتاب تفتحه القلوب المتعطشة لحكايات الحب الذي لا ينتهي، وتندمج في صفحات تروي حكايا قَلْبَيْن التقيا يومًا ما، وتداعب بلطف الحياة ومعانات الفراق.

الفصل الأول....

(في بحار الذاكرة)

_ بيروت سنة ٢٠٢٢

ساعةً بعد ساعة، يومًا بعد يوم، يمرُّ عمري الكئيب، ويصبح شبابي كما لو كان كهلًا في ذروة المشيب. يومًا بعد يوم، تبحث نفسي عن كيانٍ لها في دفاتر النسيان. بتُّ، وباتت مشاعري جثةً على قيد الحياة. لا تسألوني من أنا، أنا جرحٌ ألفتُه سنين الضياع...

حبٌّ أخرق، كما يُقال...

لماذا كلُّ هذا؟ ماذا تريد منا الحياة؟

أسئلةٌ لم أعرف إلى الآن إجابتها. بقيتُ تائهًا وسط ركام الذكريات، أشعر بأني وحيدٌ في دنيا الشعور. ذكرياتٌ عاشت وما زالت تعيش معي منذ سنوات، جعلت مني إنسانًا خائر القوى، محطم المشاعر.

وها هو ذا ينظر من خلال نافذته الصغيرة إلى العالم الخارجي الكبير. عرباتٌ تأتي وترحل، وكأنها تتسابق لهدفٍ مجهول. صوت الأطفال، صراخ البائعين، وصياح جارتي وهي تفاصل بائعي الخبز والحليب والأقمشة، كلها صورٌ أضحت ترافقني في يومياتي. باتت جزءًا مهمًا في مذكّراتي. نعم، تلك الصور التي أرسمها بالأحرف فوق أوراقٍ بكماء، سطورٌ أنشدها وأنا أتسكّع في زاويةٍ من زوايا غرفتي الساكنة.

تلك الجدران البيضاء، هذه الخزانة الخشبية، ذلك السرير، مكتبي الصغير، والعديد من الكتب التي تناثرت فوق المنضدة، في المكتبة القابعة بالقرب من مكتبي، وعلى الأرض، في كل مكان. كل هذه اللوحات باتت غذاء يومي المرير. لم أجد منفذًا للهروب من هذا الوجود القاتل سوى الكتب، التي صنعت لي حياةً أخرى بعيدة عن عالم البشر هذا.

عوالم أرسمها كما أشاء في مخيلتي، وأكتب ما أرغب من الأفكار. هذه الكتب صنعت لي خيالًا، بل الأصحّ أنها صنعت لي عوالم؛ ما إن أجلس بمفردي حتى أرى نفسي منسلخًا عن الوجود، ومرتفعًا حتى بلغت طريقًا زُيّن ورُصّع بالزبرجد والياقوت. شخصياتٌ رسمها عقلي، أحداثٌ شيّقة من وحي الخيال. هذه اللحظات التي أنسلخ فيها عن الواقع هي الوحيدة التي تدخل البهجة إلى قلبي.

وهكذا سارت وسارت أيامي: النافذة، الأصوات، الخيال، لأستيقظ كل صباح، وأحمل حقيبتي العملية، وأستقل سيارة الأجرة، وأدخل إلى مكتبي، وأجلس خلف الآلة الكاتبة، وأقضي النهار عليها.

"لا تنسَ مقال يوم غدٍ يا مجد!"
"هل أخذتَ موعدًا مع الوزير؟"
"أريد منك أن تنسخ لي هذه الأوراق بسرعة."

مكتب البريد حيث عملي. مشهدٌ جديد يكمل أحداث قصتي. أيام جميلة أخرى عشتها في ذلك المكتب، حتى بتُّ أكره الكتابة، وأصبحت تلك الآلة اللعينة عذابي اليومي. كم كنت مغرمًا بالكتابة، وكم أكرهها اليوم. فقد حُفّت أناملي فوق أزرار الآلة، وانقضت أيام شبابي وهي تتلوّى بحرها الأسود.

ورقةٌ ترحل وأخرى تأتي، وترحل مع كل ورقة ذكرى، لترحل مع آخرها. لا مجال للخطأ؛ حدثٌ بسيط يكلفك إعادة نسخ كل ما كتبت. وهكذا مضت آخر أيام عمري،

حتى أعود عند الليل إلى منزلي، أضمّ الفراش بكل قوة، كأني أضمّ حبيبًا التقيته بعد غيابٍ طويل. تؤنسني أحبال الخيال حتى أغفو وأستيقظ مجددًا على تلك الأصوات، وأرحل إلى عملي.

ما زلتُ إلى يومنا هذا أتساءل: كم من ذكرياتٍ رائعة تعيش في دفاتر النسيان؟ كيف مضت هذه الأيام بسرعةٍ فائقة؟ كيف انقلب حالنا إلى هذا الحال؟

وها أنا ذا، ذاك الرجل العجوز، أتأمل من نافذتي حركة الحياة. ابتسامةٌ عابرة، نظراتٌ حائرة، وجوهٌ شاحبة وأخرى تضجّ بالنشاط والطاقة. ذاك العجوز الذي يقف أمام النافذة يتأمل أدقّ التفاصيل في العالم الخارجي، كأنه يحدثهم ويدعوهم للعيش، يدعوهم لعدم الاستسلام.

تخاله يقول:
"لا تتوقفوا، لا تفقدوا الطموح، حاربوا، ولو أني حاربتُ ما كنت هنا."

ثم يسند رأسه إلى حافة الجدار الذي يواجه النافذة، ويطلق العنان لآلة الذكريات لتعجن له قصص الماضي من جديد، فيذرف دمعةً حاول جاهدًا إخفاءها. دمعة ثائرة، دمعة تأنيب لوجوده. تنهال هذه الدمعة كأنها فراشة خرجت للتو من شرنقتها، طائرٌ تحرر من سجنه وأخذ يطير ويطير إلى ما لا نهاية.

"طيري، أيتها الدموع، فوق وجنتي. كوني كقطرات الندى فوق أوراق الأشجار، كمطرٍ غزير، كمحارب شجاع. لا تتوقفي، لا تمسحي وجودكِ، فأنتِ وسيلتي الأولى والأخيرة للتعبير. كوني كحبات المطر على ورود البيلسان. زيديني بلآلئ أكثر، زيديني بالدموع يا عبرتي، زيديني..."

ثم يخرج زفيرًا دافئًا ويقول بنبرة استسلام وحزن مكتوم:
"ماغلين، يا ميس."

بهذا العالم، بهذا الوجود، كانت دائمًا تعيش معي أسراب اللحظات الرائعة...
مدرستي، حيث بدأت أولى خطواتي في دروب الحياة.
ثانويتي، حيث بدأت أفقه معنى الطموح.
وجامعتي، حيث تعلمت معنى الكفاح.
لحظات ممتعة عشتها. في ذلك الوقت، كنت أكره الاستيقاظ مبكرًا، وأتذمر من كل صباح يسرقني من أحلامي، أما اليوم، فأنا أتمنى لو تعود تلك اللحظات؛ لأتلمس بأناملي الصغيرة جدران مدرستي، لألهو مع الأصدقاء، لأضحك بلا اكتراثٍ للحياة.

أتمنى أن أعود لأسمع صرخات الناظر في كل صباح، وأن ألقي نشيد الوطن مع زملائي. أقف بين الصفوف، بين الجموع، وأنا أشعر بالفخر البريء الذي لا يفهمه إلا طفل صغير. لم أكن أدرك جمال اللحظة حينها، ولكنني اليوم أرجو أن يعود بي الزمن إلى أجمل مراحل عمري: إلى الشباب، حيث الضحكات العفوية، وحيث كنا نضحك لأبسط الأسباب، وحيث كنت أتشاجر مع أصدقاء المقاعد الدراسية لأتفاكه معهم بعد دقائق. أشتاق لتلك الأيام التي جمعتني بزملاء لم أعد أعلم عنهم شيئًا. أتساءل اليوم: أين هم؟ وهل سأراهم مجددًا؟

يا ليتني أملك آلةً للزمن، أعيد بها تلك اللحظات، لأعود إلى جامعتي، إلى حيث وجدت عالمًا غير عالمي. وجدت أناسًا يعيشون اللحظة بكل شغف. كانوا يتمسكون بكل ثانية، وكأنها كنز لا يريدون التفريط به. بين الجدّ والمزاح، كانوا يجلسون ويتبادلون الأحاديث التي كانت تنسيني كل تعب.

كانت الليالي التي أمضيها في الدراسة من العشاء حتى بزوغ الفجر هي أجمل ليالي حياتي. كنت أشعر بشغفٍ عارم، رغم التعب. خلال تلك الأيام، كان هناك سؤالٌ يتكرر دائمًا في ذهني:
"هل كل ما نفعله يستحق العناء؟"

ولكنني لطالما كنت أؤمن أن من جدّ وجد، وأنّ المستقبل ما زال أمامنا. مضت تلك الأيام سريعًا، وكأنها كانت حلمًا عابرًا. تخرجت، وبدأت أعمل، وسأستمر حتى آخر لحظات حياتي.

هي رحلة الحياة يا سادة...
سنمضي فيها كما يمضي الجميع، مثلما كنت طفلًا صغيرًا، ستدور بك الحياة، لتجعل منك كهلًا يحنّ إلى الماضي. ستترك خلفك ركامًا من الذكريات، وستعود إليها يومًا وأنت تستند إلى عكازك، تجمع ما تبقى منها من فتاتٍ ليؤنس وحدتك.

وفي النهاية، ستنسدل الستارة على مسرح الحياة، لتُعلن النهاية. فجميعنا أبطال مسرحيتنا الخاصة، ولكل منا دورٌ يؤديه بكل جدارة...

ولكن السؤال الذي سيبقى دائمًا:
هل أدينا أدوارنا كما يجب؟

الفصل الثاني...

(رحلة في الماضي)

_ ميس الجبل سنة٢٠٠٠؟

غاب القمر خلف هضاب ميس، وأطلت الشمس مرحة، سعيدة، وعمت الشوارع شيئًا فشيئًا بالأصوات؛ صوت الجارات، البائعين، وصوت تلك الأم التي توقظ ابنها الذي لم يتهيأ بعد للذهاب إلى المدرسة.

"هيا يا مجد، ستتأخر على مدرستك."

"أمي، دعيني أنام قليلاً."

الأم ممازحة: "هي، أيها الكسول، ستتأخر."

نهض مجد من فراشه، بدل ملابسه، هيأ نفسه وأعد حقيبته.

"اجلس وتناول الفطور معنا."

مجد وهو يخرج من باب المنزل: "أمي، لا أريد التأخر، سأشتري شيئًا في الطريق."

الأم: "ما بال شبابنا اليوم، ألا يعلمون أن أكل الشارع غير صحي؟"

الأب وهو يبتسم ابتسامة هادئة: "آه، دعيه وشأنه، إنه ينضج، هذه سنته الأولى في الثانوية، أتذكرين يومنا الأول؟"

الأم بخجل: "نعم، أتذكر، عندها لقيتك لأول مرة، كنت وسيمًا حينها."

الأب وهو يتأمل عيون الأم: "وأنتِ كذلك، لقد أحببتك من المرة الأولى التي شاهدتك فيها."

الأم وهي تتناول قطعة من الكعك التي أعدتها: "آه، كم جميلٌ عمر الشباب، يا ليتَه يعود، لكن مضى كل ذلك ولم أعد وسيمًا كالسابق."

الأب وهو يرتشف من كوب الشاي: "لا، ما زلت كما أنتِ وأكثر جمالًا حتى."

الأم بحياء وهي تبتسم وكأنها تتعمد التجاهل: "لقد كبرت، لا تبالغ."

الأب وهو ينظر إليها بكل حنان وحب: "لا، ستبقين طفلتي الجميلة إلى الأبد."

ابتسمت نادين وكأنها تذكرت لحظات شبابها مع يزن، أردفت ضاحكة: "أما زلت تذكر هذه الكلمات؟ كم كنت ترددها لي."

الأب: "يزن..." ببعض الحياء، "أتذكرين عندما وعدتك سنين معناً، حينها قلتِ لي إنك لا تحبينني ولا تريدين الزواج مني."

الأم بلا مبالاة: "تعلمين أنني فتاة، يجب عليّ ألا أعبر عن مشاعري فورًا."

الأب: "وكأنك لم تكوني أول من اعترف لي بحبها."

الأم بعصبية حنونة: "يززن!"

نهض يزن عن مائدة الطعام وحمل حقائبه، جاءت إليه نادين وأخذت برباط عنقه تعدله، وعلقت ممازحة: "هيا أيها الشاب، أحفادك ينتظرونك."

رد يزن ضاحكًا: "هل أبدو وسيمًا؟ لا أريد أن أظهر عكس ذلك لعلي أقابل فتاة جميلة في الطريق."

نادين بنبرة غضب امتزجت بالغيرة: "اهدأ قليلاً، وإلا سأشنقك برباط عنقك هذا، يا عجوز، ثم..."

لم ينتظر يزن أن تكمل نادين كلامها، علم بأنها غاضبة، فاقطعها بقبلة هادئة على جبينها، وأردف وهو يحمل حقيبته السوداء: "لا توجد فتاة في هذا العالم بجمالك، يا حلوتي."

فتح الباب وخرج منه قائلًا: "لن أتأخر، سأشتاق لكِ كثيرًا، وداعًا."

نادين وهي تبتسم بخجل: "لماذا؟ ألا تستطيع تحمل فراقي؟... حسنًا، لا تتأخر، وداعًا."

سار مجد بالطريق المؤدي إلى الثانوية الجديدة، كان متوترًا حد الذهول، وقد بانت هذه الملامح جلية على وجهه، ولكنه لم يتخل عن حبه للقراءة حتى في مثل هذا اليوم. فكان يسير وعيونه تلهي بالتنقل من كلمة إلى كلمة، دون المبالاة أو الاكتراث لما يحدث حوله. ولم يشعر إلا أنه ارتطم بأحدهم، فتتناثر الكتب والأوراق في كل مكان.

مجد: "آسف، آسف، أقدم خالص اعتذاري، لم أنتبه..."

الفتاة: "ألم تستطيع النظر جيدًا؟ تحتاج إلى نظارة غير التي ترتديها."

لم يساعدها مجد في جمع كتبها وأوراقها، بل أخذ يبحث عن الكتاب الذي بيده فوجدته بين أكوام الأوراق، وحملها، وأكمل سيره دون إعطاء أي اعتبار لتلك الفتاة.

ماغلين: "تافه، متعجرف، لا يمتلك نزعة شهامة، ما كان سيخسر لو جمع لي هذه الكتب! مستفز! أكرهك!"

أكمل مجد طريقه، ولكن هذه المرة وضع في أذنه سماعات وأخذ يستمع إلى صوت المطر الذي سجله في هاتفه.

كان مجد شابًا في مقتبل العمر، يبلغ من العمر السادس عشر. كان مأخوذًا بحب الكتب، وكان يحب الاستماع إلى صوت المطر دائمًا. كان مربوع الطول، يمتلك شعرًا بندقيًا متوسطًا، وعيونًا عسلية، زينته نظارة طبية سوداء مستديرة الشكل، تقع فوق أنفه الصغير الذي يقطن فوق فمه الوردي. كان يرتدي حينها الزي الدراسي المألوف: قميص أبيض، بنطال أسود، وربطة عنق حمراء ذات خطوط سوداء، وإلى الجانب الأيسر يوجد لوحة صغيرة كتب عليها اسمه.

أكملت ماغلين طريقها إلى المدرسة وهي تفكر في ذلك الشاب المغرور. "حتى لم يكلف نفسه بجمع ورقة، لكنه اعتذر! لا، لا، إنه مقزز للغاية! عندما أراه في المرة الثانية، سألقنه درس لن ينساه."

وسط ركام هذه الأفكار، تلمست ماغلين ابنة السادسة عشر، صاحبة الشعر الأسود الطويل والبشرة البيضاء والعيون العسلية الصغيرة، تمامًا كما انفها وفمها الوردي، إشارة اسمها، ولكنها لم تجدها. توقفت وهي قلقة، تفكر: "أين أضعتها؟ لا، لا أريد أن أتأخر في أول يوم دراسي. ما هذا الحظ؟ كله بسبب هذا الشاب الغبي! لما اعترض طريقي؟"

ظلت ماغلين تفتش وتفتش عن إشارة اسمها ولم تجدها، ولكن سرعان ما لمحت ساعة يدها، فلاحظت أنها الساعة الثامنة، فقد تأخرت. ازداد غضبها وقلقها، فأسرعت تركض. دخلت حرم الثانوية وهي تتسلل، فوقفت في طابور صفها.
ظنت بأنها نجت.
ولكن جاء الناظر من خلفها وعلق:
"أنتِ! عودي إلى الوراء بسرعة!"

ضربت ماغلين الأرض بقدمها، ولوت فمها، وقطبت حاجبيها وهمست بصوت خافت جدًا: "لم أنتبه إلى هذا." ثم نظرت إليه، وتتصنع البراءة والابتسامة: "أمم، لم أكن أعلم أن الدوام يبدأ بهذا الوقت."

علق الناظر بسخرية: "هذه المرة الأولى التي تدخلين فيها مدرسة؟ إلى الوراء فورًا."

عادت ماغلين بكل هدوء، لفت رأسها إلى اليمين ثم إلى اليسار، لكن سرعان ما لاحظت فعلق معًا في نفس الوقت: "أنت!" "أنتِ!"

علق مجد بسخرية: "ماذا؟ هل شاهدتِ عفريتًا أو ما شابه؟"

ردت ماغلين بتجهم: "لا، رأيت ما يذعر أكثر من ذلك."

"تمتلكين لسانًا كالسيف، أيتها الفتاة المزعجة!"

نظرت ماغلين بغضب وقالت: "من هي المزعجة؟"

"لا تنظري إلي هكذا، تبدين قبيحة أكثر عندما تغضبين."

"لا أريد الدخول في جدال معك، أيها التافه."

"يفضل ذلك، لأنني لا أود الدخول في مشاكل في أول يوم دراسة."

أدارت وجهها بغضب، وهو سار إلى الكرسي القريب، وضع سماعته، وسحب أوراقًا من حقيبته وبدأ يكتب. في هذه الأثناء، نظرت إليه ماغلين وبدأت تحدث نفسها: "لم يكن عليَّ التصرف معه هكذا... ولكنه مزعج، وهو من بدأ، لم يجمع لي

أوراقي على الرغم من أنه أسقطها، ولكنه اعتذر. لا أدري، هل كنت قبيحة في تصرفي معه؟"

أما عند مجد، فكان يهمس: "يا للهول، ما هذه الفتاة؟ ولكن لم يكن يجدر بي أن أقول لها ما قلت." ثم نظر إليها وأبتسم ابتسامة صغيرة: "لقد كنت كاذبًا، تبدو جميلة عندما تغضب. سأعتذر منها لاحقًا."

ماغلين: "لماذا يبتسم لي؟ غريب الأطوار هذا الشاب."

وقاطع حبل أفكارهم هذا صوت الناظر: "أنتما! هي! ادخلا إلى صفوفكما."

دخلت ماغلين فلم تجد سوى مقعد فارغ، وهو المقعد قبل الأخير. جلست ماغلين لحظات، وجلس بالقرب منها مجد.

ماغلين بعصبية: "ما الذي فعلته؟"

مجد: "ماذا؟"

"لم تجلس بالقرب مني؟"

أردف مجد بسخرية: "اطمئني، أيتها الأميرة، لست مأخوذًا بجمالك، ولكن لا يوجد مقعد آخر في هذا الصف."

ماغلين وهي تنظر إليه بغضب: "تافه."

مجد بابتسامة: "أنتِ أيضًا..."

في المقعد الأمامي كانت تجلس أنجلي، صديقة ماغلين، وإلى قربها كرم، صديق مجد. انتهت الحصص الأربع الأولى بسرعة.
أنجلي: "هل تودين تناول الطعام معنا، يا ماغلين؟»
«بالطبع سأفعل.»
خرجت أنجلي وماغلين من باب الصف، ونظر كرم إلى مجد وقال: «يا لك من صائد محترف!»
«صائد محترف؟ ما الذي تعنيه؟»
«كيف استطعت بكل هذه السرعة أن توقعها بشباكك؟»
«من تقصد؟»
كرم بتجهم: «لا تتغابى، تعلم أنني أقصد ماغلين.»
«أوه، لا، نحن لسنا أصدقاء حتى، تشاجرت معها في الصباح و...»
«يا لك من أحمق! هل تمتلك مشاعر؟ هل هناك أحد يزعج لؤلؤة مثل هذه؟»
مجد بلا مبالاة أو اكتراث: «دع عنك هذا، وانصرف إلى شغالك.»
نظرات غرابة: «أشغالي؟»
مجد: «نعم، هل تعتقد أنني أحمق؟ منذ المدرسة الإعدادية وأنت تحوم حول أنجلي.»
لم يسمح مجد لكرم أن يتحدث أو يبدي رأيه حتى قاطع صمته قائلاً:
«سأذهب للغداء، أراك لاحقاً.»
نظر كرم بغضب وكأن هناك من اعتدى على حرمة أفكاره فعلق:
«أنت؟...»
لكن مجد لم ينصت وخرج من باب الصف. وكالعادة، وضع السماعات في أذنه وهو يستمع لصوت المطر.
دخل إلى المنطقة المخصصة بالطعام، نظرت أنجلي التي كانت تجلس بالقرب من ماغلين وعلقت وهي تأخذ قضمة من قطعة الحلوى التي بيدها: «من هذا الوسيم؟ لما لم تعرفيني عليه؟»
ماغلين: «من أين له الوسامة؟ ثم لا تتمظهري بالغباء، أعلم أنك تعرفينه.»

أخذ مجد صينية طعامه وجلس على أحد الطاولات، وأخذ يأكل وهو يحل بعض مسائل الدروس.
أنجلي: «يا له من مثقف! من يمتلك طاقة للدراسة في هذا الوقت؟»
ماغلين بانزعاج: «غبي، يحاول التمظهر بأنه متفوق، لا يصل لدرجاتي حتى.»
«هل تقصدين أنك أنت من لم تصلين لدرجاته؟» نظرت ماغلين بغرابة: «ما الذي تعنينه؟»
«أعني أن مجد طالب متفوق حقاً، من أوائل الثانوية، لم يرسب يوماً ولن يحصل يوماً غير الدرجة الأولى. يا حظك، تمتلكين زميلاً رائعاً في المقعد.»
ماغلين وكأنها تفاجأت مما سمعت: «حقاً؟ على كل حال، يمكنك تبديل المقاعد معي.»
أنجلي: «لا، لا، لا أريد.»
«لماذا؟ ألم تكوني تتمنين هذا قبل قليل؟»
صمتت أنجلي وكان هناك من وضعها على الوضع الصامت، وأخذت تتأمل الباب وكانت تنتظر أحداً ليدخل. في تلك الأثناء، كانت ماغلين تروي لها كل ما حدث بينها وبين مجد فقاطعتها أنجلي قائلة: «لا، ليس بهذا السوء، لقد كنت معه من الابتدائية، وكان يراعي شعور الآخرين كثيراً. وهل تعلمين ماذا أيضاً؟»
ماغلين منصتة جيداً وكأنها تستكشف مجد: «ماذا؟»
«هو أيضاً كاتب، وكتابته تعجب الجميع. انظري إلى السماعات، إنه يسمع صوت المطر. قال لي ذات يوم إن صوت المطر يشعره بالأمان.»

الكاتب:
صوت المطر، ذلك اللحن الطبيعي الذي تعزفه ذكريات الزمن، هو ذلك الشعور الذي يتسلل لقلبك في ليالي كانون الباردة ليشعرك بالوحدة، وتشعر بالفراغ من حولك، وحيداً في سفينة الحياة تصارع موجات القدر الثائرة، تهزم البرق الذي يشتت عليك مسير الإبحار. هو سيمفونية قيمة، كتب مفاتيحها ملحن قدير يسمى الحب. نعم، الحب، حيث تبيت قصائدي وحيث أغرف من بحره كتاباتي هذه، أخطها

فوق تلك الأوراق الكئيبة مثلي. هو الصوت الوحيد الذي يشعرني بالدفء والحنان عندما تشتد عواصف الزمن المرعبة بالخارج.

ماغلين وكأنها وجدت توأم روحها:
«لم أتوقع يوماً أن أجد شخصاً يشبهني إلى هذا الحد!»
أنجلي وكأنها انتصرت بمعركة ما: «قلت لك أنك مخطئة، تعرفين عليه أكثر.»
ماغلين: «اصمتي، إنه يتجه نحونا.»
نهض مجد عن طاولة الطعام بعد أن أنهى حل المسائل وتقدم نحو طاولة أنجلي وما غلين وعلق بابتسامة: «هل يمكنني الجلوس؟»
علقت أنجلي: «بالطبع، تفضل!»
جلس مجد وماغلين كانت تتعمد عدم النظر إليه وتحاول أن تلهي نفسها بهاتفها.
«أعلم أنك منزعجة مني، ولكن أسلوبك أيضاً كان مزعجاً بعض الشيء»، هكذا علق مجد.
فأردفت ماغلين بغضب: «شكراً لكلامك التافه مثلك.»
نظر مجد إلى أنجلي وكأنه لا يعير ماغلين أي اهتمام وعلق: «أنجلي، لقد سررت بمقابلتك مجدداً.»
«وأنا أيضاً.»
نهض مجد وأعاد الكرسي إلى مكانه، وأخرج من جيبه لوحاً من الشوكولاتة وقدمه إلى ماغلين: «على كل حال، لم أقصد مضايقتك، آسف يا زميلتي.»
ابتسمت ماغلين: «شكراً يا زميلي.»
فأردف مجد ممازحاً:
«لكن هذا لا يغير أنك تبدين قبيحة عندما تغضبين.»
أنجلي: «معك حق.»
ابتسمت ماغلين ابتسامة تسليكية، وعندما خرج مجد، ظلت تنظر إلى لوح الشوكولاتة وتقول: «كان معك يا أنجلي، ليس بهذا السوء. إنه جيد زميلي في المقعد.»
ثم ضحكت هي وأنجلي. في تلك الأثناء، دخل كرم فعدلت أنجلي جلستها وشعرها، فأبتسمت ماغلين وهي تهز رأسها.

دخل كرم وجلس، وأخذ كوب العصير الذي بيد أنجلي وشرب منه. فصاحت به أنجلي: «ما بك؟ لما تشرب من كوبي؟ هذا مقزز!»
«منذ متى وأنت تشعرين بالاشمئزاز مني؟ أتذكرين حينما كنت تسرقين مني الطعام ونحن صغار؟ كم كنتِ لطيفة»، قالها كرم وهو يبتسم.
فردت أنجلي: «ما الذي تعنيه؟ هل أنا لم أعد لطيفة؟»
«نعم، أنتِ كبرتِ الآن وأصبحتِ جميلة بل رائعة.»
شعرت أنجلي بالخجل فأنزلت رأسها وابتسمت كذلك
شعر كرم بتسرعه فعلقت بتوتر: «هاه، أريد أن أذهب. تذكرت أن لدي عملاً مهماً. غداءً هنيئاً.»
خرج محرجاً فابتسمت ماغلين وعلقت: «ما الذي حل بطائرنا الصغير؟»
وأردفت مقلدة كرم: «جميلة بل رائعة!» فضحكت هي وأنجلي.

أنتهى اليوم، وخرج جميع الطلاب من حرم الثانوية، وعاد مجد في طريقه إلى منزله وهو يضع السماعات. وإذ به يتوقف عندما سمع صوتاً يناديه. ألتفت فإذا بها ماغلين تناديه.
فأردف ممازحاً: «لم أعلم أنك تحبينني إلى درجة أن تتبعيني.»
نظرت إليه بسخرية وعلقت: «أحمق، طريق منزلي من هنا أيضاً.»
مجد وهو يقلب عينيه متصنعاً البراءة: «أوه، وهل اسم منزلك على اسمي؟ لماذا تناديننني؟»
«حقاً أنك أحمق! ناديتك لكي أعتذر منك. أدركت خطئي في كيفية تصرفي معك بهذه الطريقة.»
«لا عليك، أعلم كم التوتر الذي تمرين به في اليوم الأول.»
«أشكر تفهمك.»
وسار الحديث بينهما إلى أن وصل مجد إلى منزله.
«هذا منزلي.»
نظرت ماغلين باستغراب: «لا تمزح، فإن منزلي هذا الذي يواجه منزلك.»
«أوه، لعل القدر أراد أن يجمعنا. منذ متى وأنت هنا؟»

«أحمق! بالأمس جئت واشتريت هذا البيت من قريب.»
«حسناً، أراك غداً. وداعاً.»
«أوه، حسناً. وداعاً.»

«أمي، أبي، لقد عدتُ».
هذا ما قاله مجد وهو يدخل من باب المنزل.

نادين:
«أوه، لقد عدت! هيا، ادخل، غيّر ملابسك، واغسل يديك، وتعالَ لتأكل».

مجد:
«حسنًا، أمي».

يزن:
«ما هذه الأطباق الشهية يا طفلتي الجميلة؟».
قال ذلك وهو يقوم من كنبة صالة الجلوس، وكان قد وصل مسبقًا.

نادين:
«ليست هذه المرة الأولى التي أطهو فيها».

يزن:
«إذا كان جمالك يفاجئني يومًا بعد يوم، فماذا عن طبخك؟».

ابتسمت ابتسامة خجل.

مجد:
«أبي، توقف عن التغزل بوالدتي أمامي».

يزن:
«لماذا؟ إنها زوجتي وحبيبتي، ولِمَ لا أتغزل بها؟».

نادين بضجر:
«حسنًا، كفاكما، اجلسا لتناول الطعام. لقد أعددت لكم الدجاج المقلي».

مجد:
«سلمت يداكِ، يبدو الأكل شهيًا».

جلس مجد مع عائلته حول المائدة، وبدأت الأحاديث تتوالى، يروي لهم عن يومه الأول في الثانوية. تخللت الأحاديث الضحكات التي كانت تتنقل كما الأطباق على المائدة. وفجأة، وكأن نادين تذكرت شيئًا:

نادين:
«أوه، نسيت أن أخبركم! بالأمس، اشترى أحدهم البيت المقابل لدارنا. إنها فتاة في مقتبل العمر تعيش وحدها».

يزن:
«أوه، لقد شاهدتها هذا الصباح. تبدو فتاة مؤدبة».

مجد باستعجاب:
«تعيش وحدها؟».

الأم، وكانت قد شاهدته مسبقًا يقف معها في الخارج:
«نعم».

صمت مجد قليلاً وكأنه يفكر بشيء ما. هذه هي عادته إذا أراد التفكير بشيء:
يغمض عينيه وينظر إلى الأسفل. ثم قال:
«أمي، أريد منك أن تضعي لي بعض الطعام جانبًا».

الأم، وقد عرفت الغاية:
«لماذا تريد هذا؟».

مجد:
«لا شيء، فقط أعجبني الطعام».

الأم بمكر:
«أوه، حسنًا، لا بأس أيها الكاذب. سأترك لك».

نادين، كأي أم ترغب أن يرى ولدها السعادة، تذكرت معاناته في حبه الأول لتلك الطفلة التي أحبها بصمت دون أن يعترف لها. وعندما اضطر للرحيل، لم يودعها حتى.

فرغ مجد من الطعام وغسل يديه، ثم حمل العلبة التي تحتوي على الطعام وخرج. شاهدته والدته فقالت بابتسامة ماكرة:
«أبلغ عروستنا عنا السلام».

مجد، وقد كُشف أمره:
«أمي...!».

ابتسم يزن وهو يشاهد نسخته الصغيرة تخرج من الباب، ثم ذهب إلى زوجته وهي تغسل الأطباق. عانقها من الخلف وقال:
«كم يشبهني ابني، حتى بتصرفاته».

مجد توجه نحو منزل ماغلين وطرق الباب.

ماغلين باستغراب:
«من الطارق؟».

مجد:
«أيتها الحمقاء، أنا، مجد».

فتحت ماغلين الباب وقالت:
«ما الذي تريده أيها السخيف؟».

مجد، وهو ينظر إليها:
«سمعت أنكِ تعيشين وحدك، لذلك جئت لقتلك».

ماغلين بسخرية:
«لقد أفزعتني حقًا، أكاد أرتجف».

مجد:
«لا، لقد جلبت لكِ بعض الطعام. ربما تكونين جائعة».

ماغلين:
«أنا؟ لا، لستُ جائعة».

نظر إليها مجد مطولاً ثم قال:
«أنتِ كاذبة. ما زلتِ تضعين يدك على شعرك عندما تكذبين».

نظرت ماغلين بتوتر ودهشة وقالت:

«وكيف تعرف هذا عني؟!».

انتبه مجد لما قاله، فحاول تغيير الموضوع، لكن ماغلين قاطعته:
«وكيف تعرف أنت؟!».

مجد بنبرة غاضبة:
«أنا من يجب أن يغضب، لا أنتِ. كيف تنسيني بهذه السرعة، حمقاء؟!».

صُدمت ماغلين وقالت:
«هل أعرفك من قبل؟!».

مجد:
«لا عليكِ. هل يمكنني الدخول؟ سأتجمد من البرد لو بقيت واقفًا هنا».

ماغلين:
«أوه، حسنًا، ادخل».

دخل مجد وهو يتأمل منزلها. وضع الطعام على الطاولة، وماغلين، التي أنكرت الجوع قبل قليل، بدأت تأكل بنهم كما لو أنها لم تأكل منذ الأمس.

كان مجد يتأملها بصمت، يستعيد ذكريات الطفولة. كانت تلك الفتاة الصغيرة قد أصبحت شابة جميلة، لكن عاداتها ظلت كما هي.

مجد:

«ما زلتِ كما أنتِ، غير مرتبة».

ماغلين بسخرية:
«أنا التي لم تعرف من أنتَ بعد!».

مجد بابتسامة:
«أنا، مجد».

ماغلين:
«ماذا تقول؟ لم أكن أعرف اسمك حقًا».

ابتسم مجد وقال:
«أنا مجد، ذلك الطفل الذي كنتِ تحبينه منذ الصغر»
أُخْتُنِقَتْ ماغلين بالطعام، لطالما أَحَسَّتْ بشعور ارتياحٍ مفرطٍ تجاهه، كيف لم تَعْرِف تلك العيون؟ كانت تحفظها، لطالما كانت رفيقتها. هل يُعْقَلُ أنه ذلك الطفل؟ أخذت تَشْرَب وهي تفتح عيونها على وسعها. أردف مجد، وهو يمدُّ لها كأسًا آخر من الماء:
«لا تحتاجين إلى كلِّ ردة الفعل هذه.»
فقالت، وقد بدا عليها الصدمة:
«صدمتي كانت بسبب كلمة (تحبيني). مَن قال لك إنني كنت أحبك؟»
فأجابها بمكر:
«أنتِ مَن قال هذا، أَنَسِيتِ ذلك اليوم؟»
وأراد مجد تذكيرها به، لكنها أوقفته قائلة:
«لا، لا، تذكَّرت. ولكن هذا كان في الماضي. لا تذكره لأحدٍ مجددًا. ومن ثَمَّ، أنا لا أحبك الآن، لذا إذا جلبت الطعام على هذا الأساس، فأنا أعتذر.»
ضحك مجد بسخريةٍ، وأردف ممازحًا:

«كان من الماضي؟ يعني أنك كنتِ تحبينني في السابق! حمقاء، لقد جلبت الطعام لكِ على أنكِ صديقة قديمة، لا أكثر. وسألوم نفسي لو مُتِّ بسبب الجوع.»
فقالت، وهي تبتسم بخفة:
«لا عليك، لن تتخلص مني مبكرًا.»

أخذ الحديث مجراه بينهما، فمرّا على ذكريات طفولتهما، وشرح لها مجد سبب رحيله من القرى. عاتبته ماغلين لعدم توديعه لها، والضحكات بدأت تتعالى وكأن كل فراق السنوات لم يكن. فعلق مجد:
«حسنًا، لقد تأخر الوقت. إذا احتجتِ إلى شيء، ناديني أو اتصلي بي، ولا تقولي إنك نسيتِ رقمي، لأنك كنتِ تحفظينه أكثر من اسمك.»
فعلقت ماغلين:
«هل يمكنك أن تكف عن هذا التكبر؟ لا تقلق، فقد نسيته.»
فقال مجد:
«حسنًا، وداعًا. سأعطيكِ إياه غدًا صباحًا.»
«وداعًا.»

أغلقت ماغلين الباب، واستندت عليه. الفرحة لم تسعها. هل هذا مجد، صديق طفولتها حقًا؟ بل دعنا نكون صريحين أكثر: حبيبها الأول. لطالما تخيلته، لكنها لم تتوقع أن يكون هكذا. لحظات وكسرت ضحكتها لوعتها عندما تذكرت رحيله. شيء بداخلها يُشِي بأن الأمور لن تسير على ما يرام.

الكاتب:

الذكريات، تلك المواجع التي تعيش معنا، وتصبح سمًا إذا كان الحب يجلس بين طياتها. الذكريات هي تلك الآلة اللعينة التي لا تكف لحظة عن تذكيرنا بالماضي، هي تلك الخيوط السحرية التي يحاول الإنسان التمسك بها جاهداً لكي لا يموت، لأن وجود الإنسان يكمن في وجود الذكريات. لذلك تجد جميع البشر يتمسكون بتلك الخيوط السحرية إلى أن تهب عواصف هواء كانون، فيسقط البعض أرضاً، وهؤلاء هم الذين يموتون، وبعضهم يتمسك باللحظة الأخيرة وهم من يمتلكون بصيص أمل صغيراً، وهناك من يتمسك بالعديد من تلك الخيوط دفعة واحدة. وهكذا، كلما عصف به الهواء، انتقل إلى آخر، وكلما انتقل إلى آخر، زاد مجموع الخيوط بين يديه، وهؤلاء هم المتمسكون بوجودهم. كنت دائمًا ما أسمع أن الجميع يجب عليه أن يحب، كلنا نعشق لكي لا نقع في حفرة الذكريات. لكنني أقول، عندما أحببت، أصبحت أسيراً وغريقاً في قعر بحر الذكريات هذا. فما الحب إلا ذكرى جميلة تحيا معنا إلى الأبد...

في اليوم التالي:

استيقظ مجد مبكرًا على غير عادته. ارتدى ملابسه، هيأ حقيبته، وخرج. نظر والد مجد إليه باستغراب، فعلق الأب: "يا إلهي، هل أنت بخير يا مجد؟" "نعم، هل يبدو عليّ غير ذلك؟" نادين: "دع الشاب وشأنه يا يزن، تبدو أكثر جاذبية اليوم يا بني."

"شكراً أمي، أبي تعلم من أمي كيف تتغزل أيضًا بأبنائه." "أوه، حسنًا، يا بني، جهز نفسك، سأوصلك للمدرسة اليوم." "لا، لا، المشي مفيد للصحة، وخصوصًا في عمري يجب أن أربي بنية قوية." ثم أردف وهو يحمل الطعام من الطاولة ويضعه في علبة: "أليس كذلك يا أمي؟ شكراً على الفطور، يجب أن أذهب." وهو يخرج من باب المنزل علقت والدته: "انتظر لحظة..." "لقد خرج." "لماذا يتصرف هكذا يا يزن؟" ابتسم الأب ولم يجيب. "إني أسألك لماذا تبتسم؟" "أوه، لا شيء يا عزيزتي، لا شيء، يجب أن أرحل سأتأخر. وداعًا يا محبوبتي."
"وداعًا."

كانت ماغلين تسير وهي تتفحص هاتفها، فسمعت صوتًا من خلفها يناديها: "أيتها الحمقاء، لما تسيرين بسرعة؟" "أنت مجددًا؟!" "نعم، تفضلي." "ما هذا؟" "إنه فطور أعدته أمي، تذوقي، لا تخافي، لا يحتوي على سم."
ماغلين وهي تبتسم بخجل: "لا تقلق، ولو كان سمًا لشربته من يديك."
مجد باستغراب: "ما هذا التغير المفاجئ؟"
ماغلين، ومازالت علامات الخجل تنحت معالم لها على وجهها: "لقد اشتقت لك يا مجد."
"حسنًا، سنتأخر على المدرسة، لنتسابق كما كنا نفعل ونحن صغار."
ماغلين: "سأهزمك هذه المرة، لن أدعك تتفوق علي كما كنت تفعل سابقًا."
"حسنًا، هيا!" بدأ كل من ماغلين ومجد بالسباق، وهواء العليل يلفح شعر ماغلين في طائرته بالهواء، وعيون مجد تنظر إليها دون أن تطرف حتى. لعل بالأمس كان هناك مشاعر حاول مجد أن يخبئها عن ماغلين، ولكن اليوم لم يستطع أن يخفي نظراته. حتماً تخون العاشقين نظراتهم للمعشوق. الحب يا سادة، هو ذلك الفتيل الذي يشتعل مباشرة عندما تقرب منه شخصًا يناسب حياتك، تفاصيلها، يشاركك بالتفكير في كل شيء، فتصل إلى درجة أنك تشعر أنكما شخصان في جسد واحد وعقل واحد. تتشاركان الأصدقاء والأعداء، الأشياء المفضلة. فعندما نحب، يصبح كل شيء جميلًا بمن نحب، حتى عيوبه تصبح هي مصدر الجذب لك. لعل البعض يعتقد أن الحب الذي نشأ بين مجد وماغلين هو حب بين يوم وليلة، بل الحقيقة عكس ذلك

كليًا. فمجد وماغلين كانا عشاقًا منذ طفولتهما. كانا يتشاركان المواقف الجميلة التي باتت تسكن كلاهما، اللحظات الممتعة، والمحزنة، حب الفتة، سنين الضياع.

مرت الأيام، وكل يوم كان يمر، كان يمر معه العديد من الذكريات. كان الحب بين ماغلين ومجد يكبر مع كل لحظة. وهنالك أيضًا طائران كانا مزعجين حقًا، يغاران على بعضهما البعض بهدوء، دون أن يبرز أحدهما حبه للآخر. وهم أنجلي وكرم، الذين خطوا قصة حب فريدة من نوعها.

"ما هذه الدرجات يا ماغلين؟" هذا ما علقه مجد بغضب.
وأردفت ماغلين: "لقد حاولت وحاولت جاهدًا، ولكن..."
قاطعها مجد: "لن تكوني قادرة على الالتحاق بجامعة قوية وكبيرة إذا استمريت على هذا الحال..."
"صحيح، لن تخبرني بأي جامعة ستلتحق؟"
"أنا، سألتحق بالجامعة الأميركية إذا حصلت على منحة بدرجاتي العالية."
"وأنا أيضًا أريد أن ألتحق بها."
ابتسم مجد وعلق: "لن تكوني قادرة على فعل ذلك إلا إذا استطعتِ أن تدرسي جيدًا وترفعي نسبة درجاتك."
ماغلين بنبرة يعتليها الطموح والأمل: "سأدرس، نعم سأدرس لكي أكون معك."
مجد بابتسامة حنونة: "ماذا؟ ما الذي قلته للتو؟"
"لا، لا شيء، لم أقل شيئًا. سأذهب للغداء، هل ستأتي معي؟"
"لا، أنت من ستأتي معي..."
"إلى أين؟"
"ستعرفين عندما نصل."

أخذ مجد ماغلين إلى سطح الثانوية، مكان لا يأتي إليه أحد، مليء بالكراسي والمقاعد الدراسية القديمة المنثورة في كل مكان هنا وهناك.
"افتحي عينيك يا ماغلين."

ماغلين، وهي تفتح عينيها: "ما هذا المكان يا مجد؟"
"هنا، اعتدت أن أقضي طيلة وقتي. هنا أدرس، نأكل كل شيء هنا."
لم تصدق ما رأته ماغلين وأخذت تقفز من الفرحة وتلهو في كل زاوية، فوقفها مجد معلقًا: "وهنا سأعطيك دروسًا خاصة."
"دروس خاصة؟ لماذا؟"
"لا تريدين أن تلتحقي بجامعة مرموقة؟ فعليك أن تحسني درجاتك، وأنا سأساعدك."
"حسنًا، لم أمانع هذا يا أستاذ مجد."
"لست كبيرًا إلى هذه الدرجة."

فعلاً، مرت الأيام، ومجد يعطي ماغلين كل الدروس والملاحظات التي يمكن أن تساعدها لكي تنجح.
"هيا يا ماغلين، إنه يوم الشهادات، علقت على جدار المدرسة."
"حقًا يا أنجلي، هيا بنا إذًا."
أنجلي بفرح: "لقد حصدت 200 درجة من أصل 400."
ماغلين ومعالم الحزن ترسم على وجهها: "لقد حصدت فقط 260 نقطة."
جاء صوت من خلفها: "هذا جيد يا ماغلين، تستطيعين قريبًا الالتحاق بالجامعة التي تريدينها."
"مجد، ولكن..."
"ليس هنالك لكن، هيا بنا، العشاء على حسابي، سنحتفل."
كرم بسخرية: "حقًا، سنأكل الليلة كثيرًا."

دخل الجميع إلى المطعم، جلسوا وطلبوا الطعام، وعين مجد لا تزال تنظر إلى ماغلين بإعجاب. انتهى الجميع من تناول الطعام، فقال كرم:
"سآخذ معي أنجلي للمنزل."
"لماذا؟ لا يمكنني أن أذهب لوحدي."
قامت ماغلين بضربها على قدميها وهي تعلق: "لا أذهبي معه، الوقت تأخر."
"أوه، حسنًا، الوقت تأخر. حسنًا، هيا بنا."

خرج أنجلي وكرم من المطعم، ظل يسير بالقرب منها، والسكوت يعشش في المكان. لولا أصوات السيارات بين الحين والآخر، لكان الصمت مرعبًا.
"أنجلي...؟"
"هاه؟"
"مبارك لك النجاح."
"أوه، ولك أيضًا، لقد أحرزت نقاطًا أكثر مني."
"أممم، لا عليك، يمكنك التقدم."
سكت كرم برهة، ثم أردف:
"لماذا تريد ماغلين أن تدخل جامعة كبرى مثل هذه؟"
علقت أنجلي بدون تفكير وبسرعة: "من أجل أن تبقى بقرب مجد."
"هل هذا صحيح؟!"
ركّزت أنجلي بكلامها، بالخطأ الذي ارتكبته، وما إن همّت بالكلام، قاطعها كرم معلقًا:
"هل ستفعلين مثلها؟"
أنجلي بحيرة وتوتر: "لماذا، من أجلك بالطبع، لا."
كرم بتجهم وسخرية: "لم أقل لك من أجلي."
أنجلي بتوتر زائد: "أوه، حسنًا، إذا كنت أحبه وهو يحبني، فلماذا لا؟"
سكت كرم برهة، ثم أردف:
"حسنًا، أنجلي، أنا... أ... أنا... أحبك."
الكاتب:
حب، كم مرعبة هذه الكلمة! نعم، مرعبة. تخيل معي أن تسلم روحك وخالص مشاعرك لشخص لا يرأف بحالك، كيف ستكون؟ بأي حلة؟ حتماً ستدمر. تلك الذكريات التي أذكرها لكم اليوم مر عليها الكثير والكثير من السنوات، ولكنها ما زالت وكأنها حدثت بالأمس. أعود عليها الآن، أذرف دموعي، أذكر فترات شبابي المتناثر، أذكر ضحكات الأصدقاء، مداعبتهم ونكاتهم، أذكر عندما كنا نحزن وعندما نفرح. كل منا كان يمتلك حياة خاصة، مشاكل خاصة، هموم، ولكنها كانت جميعها

تزول عندما ندخل إلى غرفة الصف. تلك اللحظات التي تتغلغل في قعر المواجع، وتعيش في دنيا الوجود بفكري، وكأنها زهرة أسقيها كل يوم لكي لا تذبل، لتزهو بألوانها أكثر فأكثر. وماذا حدث أيضاً تلك الليلة؟ آه، تلك الليلة، نعم، ما زلت أذكرها جيداً.

خرجت ماغلين مع مجد من المطعم، وأخذا يتمشيان في أزقة المدينة والأحداث تتبع بعضها. وكان الليل قد أصبح شديد الظلمة، والقمر منير جداً، والنجوم تلمع بجنون. أذكر ماغلين عندما قالت لي: "كم أتمنى لو أملك نجمًا يلمع دائماً".

مجد: "نجم يلمع دائماً؟"

ماغلين: "نعم".

مجد: "أغمضي عينيك".

ماغلين: "لماذا؟"

مجد: "أغمضي عينيك فقط".

ماغلين: "حسناً".

مجد: "هل تبصرين ذلك النور؟"

ماغلين: "لا".

مجد: "حاولي التعمق في صميمك، ستجدينه".

ماغلين: "نعم، ها هو! يا إلهي، ما هذا الضوء؟"

مجد: "إنه الشعور، يا ماغلين".

ماغلين: "الشعور؟"

مجد: "ذلك الشيء الذي يقطن في أعماق قلوبنا، يتغذى على مواقف نمر بها في هذه الحياة. وحسب كل موقف، يحدد رد فعلنا، وهذه الردة تسمى الشعور".

ماغلين: "ومن أين هذا الضوء؟"

مجد: "إنه من مشاعرك الصادقة، يا ماغلين، من فرحتك الحقيقية المنبعثة من أعماق قلبك. وكلما كان قلب الناظر صافياً، كان هذا الضوء شديداً".

ماغلين ببعض الخجل: "هل أخبرتك يومًا أن أحاديثك جميلة؟"

مجد: "لا داعي، أعلم هذا".

ماغلين ضاحكة: "علمتُ هذا".

تنهدت وهي تنظر إلى السماء: "كم تبدو السماء صافية؟"
فنظر مجد إلى ماغلين وعلق: "تبدو جميلة، رائعة للغاية".
صمتت ماغلين عندما شعرت أن الكلام موجه لها، وشعرت بالخجل. ولكن قاطعها مجد قائلاً: "رأس السنة على الأبواب، أين ستقضين هذه الليلة؟"
ماغلين، وهي تسند ظهرها إلى حافة الحائط، وأخرجت زفيراً دافئاً: "لا أدري، ولكن لطالما تمنيت منذ صغري أن أشاهد الألعاب النارية".
مجد: "الألعاب النارية؟!"
ماغلين: "نعم".
مجد: "ألم تشاهديها ولو لمرة واحدة؟"
ماغلين: "لا، كانت أمي تمنعني خوفاً عليّ".
مجد: "أتفهم هذا".
ماغلين: "حسناً، هيّا بنا نعود إلى المنزل، سنتأخر".
مضت الأيام بسرعة، ويوماً بعد يوم أخذ الحب يثبت وجوده بجدارة بين مجد وماغلين. فاعتادا في كل صباح أن يذهبا إلى المدرسة سوياً، يعطيها كوب الشوكولاتة الساخن، ويعطيها الفطور الذي تعده والدته. يدرسها الدروس خلال الفصل ويساعدها، ويعود معها عند المساء إلى المنزل، وكانا يقضيان العطل الأسبوعية سوياً.
على الجانب الآخر، كانت العلاقة تتطور بسرعة بين كرم وأنجيلي، ودخلا قفص الحب سوياً.
مجد: "حسناً، أخبرني يا كرم عن هذا".
هذا ما قاله مجد عندما شاهد أنجيلي تودع كرم وهي تقول له: "وداعاً يا حبيبي".
كرم: "لا، لا شيء".
مجد: "هيا، القصة باتت مفضوحة، أنا صاحبك المقرب، أيها الغبي!"
كرم: "حسناً، لقد اعترفت لها بحبي وهي كذلك".
مجد بصوت عالٍ: "منذ متى؟ ولماذا لم تخبرني؟"
ماغلين عندما عرفت من أنجيلي عن حبها لكرم، علقت أنجيلي: "منذ شهرين تقريباً، ولكن..."

ماغلين قاطعتها: "أتخفين شيئاً مثل هذا؟..."
أنجيلي: "أوه، آسفة، ولكنك لم تخبريني عن علاقتك بمجد".
ماغلين: "مجد؟"
أنجيلي: "نعم، مجد؟!"
ماغلين: "لا، إنه مجرد صديق".
أنجيلي: "هيا، لا تكذبي عليّ، أخبريني..."
ماغلين: "حسناً، إنه شاب ظريف بعض الشيء، تشدني غرابته واطلاعه على الكتب. أحب أصغر تفاصيله، وابتسامته الساحرة عندما أراه، لا يمكنني السيطرة على نفسي. نعم، نعم، أنا..."
مجد: "أحبها، لا أدري، لكن يشدني إليها جمالها الناعم، رقيقة حد الذهول وطيبة حد العجب، لطيفة مع الجميع. أو ماذا أخبرك عن ابتسامتها؟ ابتسامة ساحرة لا تقاوم. أو عن شعرها الناعم؟ أم عن عينيها؟ ماذا أخبرك عن..."
هذا ما كان يقوله مجد عن ماغلين عندما سأله كرم عن حقيقة مشاعره نحوها، قبل أن يقاطعه قائلاً: "لقد أحببتك، أيها المغفل، لقد وقعت في شباك الحب".
مجد: "الحب؟ نعم، لقد كنت سباحاً ماهراً، أجيد السباحة، لا يوقفني شيء. لكنني نسيت قدرتي وقوتي عندما وجدتها. رمت طعم جمالها بشباك الحب في البحر، فغدوت أقتل كل الأسماك من حولي، حتى أكون أنا صيدها الوحيد. هي قمري، يا كرم، هي ذلك الضوء الخافت الذي أنار لي دربي وسط الظلمات. كانت بمثابة خريطة أهتدي بها للصواب، بعز توهاني في متاهات الحياة. لقد سحرتني ماغلين".

الكاتب:
عزيزي مجد الذي يسكن الماضي، أو بالأحرى الذي يسكن الذكريات، لا تبالغ بردة فعلك، فإنك ما زلت في البدايات. ما زلت لم تكتشف حقيقة الحب وأنه لعنة أَلِفها لنا الزمن، لا يمكن التخلص منها. أعود اليوم إلى قعر ذكرياتي، أتذكر كل تفاصيل، كل شعور، كل وجود جميل. أتلمس نفسي، أنا مجد عندما كنت شاباً في ريعان الشباب. كم كنت حقاً تائهاً حينها. أرشدتني عيونك، نعم عيونك يا ماغلين، تلك اللؤلؤتين التين كنت تبحث بهما عن وجودي كلما هربت من مشاكل الحياة. كيف أخبرك؟

كيف أقول لك الحقيقة؟ كيف أمتلك تلك الشجاعة الكافية لكي أعترف لك بحبي الكبير؟ دائماً ما اعتقدت أنني قوي، لا يوجد شيء أقف أمامه عاجزاً. لكنك أنت، نعم أنت من علمتني الرضوخ. لأول مرة أشعر بأني عاجز، غير قادر على فعل شيء بسيط بنظر الآخرين كهذا. كيف فعلتها يا كرم؟ من أين جئت بكل هذه القوة؟ يا ليتني كنت مثلك، يا ليتني...

مضت الأيام، وجاءت عطلة رأس السنة. دخل كرم من الباب فرحاً: "يا رفاق، أين ستقضون آخر يومين من السنة؟"
مجد: "لا أدري، أين ستكون أنت؟"
كرم: "سأذهب للتخييم في منطقة جبلية، ما رأيكم؟"
مجد: "بالطبع، أعتقد أن الأجواء ستكون لطيفة، ما رأيكِ يا ماغلين؟"
ماغلين: "ستكون تجربة رائعة حقاً، لم أجرب التخييم من قبل".
أنجيلي: "وأنا، وأنا أيضاً سآتي. الأجواء ستكون رائعة يا ماغلين، نلهو حول النار ونأكل ونمرح، ستكون نهاية السنة جميلة حقاً".
وهكذا حدث، مضى الجميع يهيئون حقائبهم ويجهزون أنفسهم. دخلت ندين على ولدها: "خذ معك ثياباً تناسب الصقيع، في المرتفعات الثلجية هناك".
مجد: "حسناً يا أمي".
ظلت الأم تقف على الباب. شعر مجد بأن والدته تود أن تتحدث.
مجد: "هل هنالك شيء يا أمي؟"
الأم: "لا، ولكن كنت أتساءل، هل ستقضي معنا العيد؟"
يزن: "يا طفلتي الجميلة، دعيه يذهب، هل نسيتي عندما كنا في عمر الشباب، عندما خيمنا لأول مرة سوياً؟ عندها اعترفت لك بحبي للمرة الأولى".
الأم: "أذكر جيداً، ولكني ما زلت في عمر الشباب. أنت الذي كبرت".
يزن: "ماذا؟ أنا لم أكبر".
الأم: "بلى، أتذكر بنيتك القوية، وهندامك الجميل، وعضلاتك البارزة، كنت وسيمًا، مثل ولدنا الآن تماماً".
يزن: "ما الذي تقصدينه؟ كنت؟ ألم أعد وسيماً؟"

الأم ضاحكة: "نعم، نعم، لم تعد كذلك".
مجد: "أمي، لا تزعجي والدي، إنه كان وما زال وسيماً".
يزن: "انظري، ولدك على حق".
مجد ممازحاً: "ولكن لم يعد عنده عضلات فقط".
الأب مبتسماً: "أنت ووالدتك تتفقان عليّ. حسناً، اذهب الآن، ونتناقش فيما بعد".
الأم: "أرأيت؟ حتى ولدك انتبه لذلك".

خرج مجد وأصدقاؤه من منازلهم وتوجهوا إلى مكان التخييم. أعدوا الخيام، الموقد، وضعوا الأغراض وجلسوا يلعبون إلى أن أطل الليل من خلف الهضاب الشامخة. وفرش القمر نوره، وتعالت أصوات الذئاب لتضيف جمالاً على هذه اللوحة الرائعة. وأكمل الهواء العليل مشهد قصتنا عندما لفح كل منهم بنسماته الباردة، وما زاد من رومانسية الأجواء هي ألسنة النيران التي تتراقص في الموقد وتنشر معها الدفء والأمان، وتعطي أضواء جميلة صفراء وزرقاء وحمراء، وتزداد حماسًا كلما غذَّاها كرم بالحطب اليابس. كانت ماغلين وأنجلي داخل خيمتهما تعدان الطعام، فعلقت ماغلين: "إنها المرة الأولى التي أخرج فيها من المنزل بمفردي".
أجابت أنجلي: "لا تباهي، فقط عيشي اللحظة، عيشي الحكاية، لتتمتعي بشبابك الذي لم يدُم، ولتصنعي ذكريات جميلة مع من تحبين".
ماغلين، وهي تتعمد عدم استيعاب كلمتها، قالت: "مع من أحب؟".
أنجلي بابتسامة صغيرة، وهي تضرب كتف ماغلين بكتفها، قالت: "نعم، ذلك الوسيم الذي يقف بالخارج".
ماغلين محاولة تغيير الموضوع: "أوه، حسنًا، وماذا عن حبيب القلب خاصتك؟".
أنجلي باستغراب: "كرم! ما به؟".
ماغلين: "ألا تعتقدين أنه جاء بنا إلى هنا صدفة؟".
أنجلي، باستغراب، علقت: "ما الذي تعنينه؟".
ماغلين: "من كان صاحب فكرة مجيئنا إلى هنا؟".
أنجلي: "كرم".
ماغلين: "لماذا يا ترى؟".

أنجلي وكأنها تفكر: "لا أعلم، لعلّه يريد أن نقضي وقتًا أطول معًا كأصدقاء".
ماغلين مبتسمة، وهي تخرج من الخيمة: "بمثل هذا الوقت من السنة؟".
خرجت ماغلين وظلت أنجلي غارقة في أفكارها، تسأل نفسها، سؤالًا يأتي وآخر يحول دون وجود جواب مقنع له.
"لعلها محقة، هناك شيء في قدومنا إلى هنا؟".
"لا، لا، ماغلين تعبث بعقلي لا أكثر".
"ماذا لو كان هناك أمر ما حقًا؟".
"لا يهم، المهم أن أعيش هذه اللحظات الجميلة".
هكذا ظل عقل أنجلي يتساءل إلى أن قطع حبل أفكارها مجد من الخارج: "أنجلي، هل جلبتِ لنا كيس المشروبات من الداخل، رجاءً؟".
"حسنًا، إني قادمة".
التف الجميع حول النار، ووضعوا الطعام، وبدأوا بالأكل وهم يتسامرون، ويتمازحون فيما بينهم، ويتذكرون ذكرياتهم القديمة.
"أتذكرين يا أنجلي، المرة الأولى التي التقيتِ فيها بي؟".
"بالطبع أذكر يا كرم، كنت ترتدي حينها ثوبًا مضحكًا وتحمل بيدك كيس القمامة، عندها نظر إلي والدي وقال: 'رحبي بجارنا يا أنجلي'".
تعالت الضحكات، فعلق كرم متجهمًا: "تمتلكين ذاكرة قوية".
وأردفت أنجلي: "نعم، لهذا ما زلت أذكر ذلك الشعور الذي كان يدفعني إليك...".
فقاطعته ماغلين قائلة: "حسنًا، حسنًا يا طيور الحب، هذا يكفي، ارحموا قلوبنا".
كرم وهو يضحك: "وأنتِ يا مجد، أخبرنا كيف تعرفت على ماغلين؟".
مجد وهو يضحك بسخرية: "منذ مدة طويلة، كانت معي في مدرستي القديمة، وكنا أصدقاء مقربين جدًا، إلى أن تركت المدرسة من ثلاث سنوات وانتقلت إلى هذا الحي".
ماغلين: "نعم، لقد تغير مجد كثيرًا خلال السنوات، لدرجة أنني لم أعرفه في البداية عندما رأيته بالمدرسة".
مجد: "أنتِ كذلك، لقد تغيرتِ كثيرًا، ولكنني تعرفت عليكِ".
كرم ممازحًا: "واحد صفر لصالحك يا صديقي".

أنجلي بسخرية: "واحد واحد، تعادل، أنسيت الثياب المضحكة قبل قليل؟".
كرم: "آه، كم أنتم أقوياء، لا تفت لكم عزيمة أيها الفتيات".

الكاتب:
"كم كنت صادقًا يا كرم، فالإناث أقوياء دائمًا، لا تستهن بأنثى يومًا، فإنها باستطاعتها أن تدمرك إن أرادت. الفتاة ليست فقط أنوثة وجمالًا ورقة، بل أيضًا قوة وثبات. فالفتى الذي تهزّه الهند ليلاً، باستطاعتها أن تهزّ الأمم. كم يجهل أولئك الذين يعتقدون أن الفتاة للمطبخ أو للأعمال المنزلية، وكأنهم هم فلاسفة عصورهم.
خسئتم، فإن للفتاة الحق في العمل والتعلم، وأن تكون رائدة مجتمع مثلها مثل الذكور بل أعظم. فالفتاة أقوى من ألف رجل، فلا تخدعك رقة يدها لأنها تستطيع أن تصنع بها العجب. وإياك أن تتلاعب بمشاعرها، فحينها ستصنع بك العجب يا صاح، لا تخدعهم أيّتها الفتاة القوية، بل دَمّري كل من يقف في وجه طموحاتك. لا تجعلين هدفك الأساسي في هذه الحياة الزواج فقط، بل اجعلي نجاحك أبداً وأهم من كل شيء. لا تسعي للتعري لكي يعجب بك الرجال، بل اسعي للنجاح، للستر العقلي والجسدي لكي لا يفكر رجل لمرة واحدة في التلاعب بك. بسترك، بقوتك، بجمال فكرك ونجاحك تصلين، واصلي، فإنكِ قوية، صدقيني، أنتِ الأروع لأنكِ أنثى".

انتهى الجميع من تناول الطعام، وأخذوا يلعبون ويلهون حول النار، إلى أن اقتربت الساعة من الثانية عشرة ليلاً.
فعلق مجد: "هي، تعالوا، أريد أن أريكم شيئًا".
كرم: "ما هذا الشيء؟".
"سترون!!".
أنجلي: "حسنًا، خذ مغليين ونلحق بكم".
"حسنًا، ولكن يجب عليكِ أن تغمضي عينيكِ".

"لماذا؟".
لم يرد مجد، بل اكتفى بأن يرسم ابتسامة على وجهه، وأغمض عينيه بيديه، وسار بها نحو قمة عالية، وسرعان ما لحق بهم كرم وأنجلي.
"أريد منكم النظر إلى السماء".
أزال مجد يديه عن وجه ماغلين، ودقت الساعة الثانية عشر من منتصف الليل، فعلاً، ارتفعت أصوات غريبة، أشكال تزهو في السماء بألوان مبهجة.
ألعاب نارية، صرخت ماغلين من جمال ما رأت: "كم هذا جميل!"
أنجلي: "نعم، للغاية!"
وبدأ الجميع يصرخون في نفس الوقت بأعلى صوتهم:
"سنة سعيدة للجميع، سنة رائعة!".

عاد الجميع إلى المخيم وخلدوا إلى النوم، لكن هناك عيونًا كانت تحمل كلامًا، عيون لم تشبع، عيون صاحية.
كانت عيون مجد وماغلين.
لم تشعر ماغلين برغبة في النوم، لذلك نهضت وخرجت من الخيمة، ومن جهة أخرى كان مجد أيضًا يخرج.
"ماغلين ".
"مجد".
"ألم تستطيعي النوم؟".
ماغلين بابتسامة صغيرة: "كذلك أنت!".
"أوه، نعم، وددت أن أشاهد النجوم، ما رأيك؟".
"حسنًا، فلنشاهدها معًا".
سار كلاهما إلى صخرة قريبة من المخيم، استندا إليها، وطال الصمت الذي كان يخلّفه صوت الذئاب الشاردة أو صرير حراس الليل المتمرد.
"شكرًا، لك، حقًا كان اليوم من أجمل أيام حياتي".
مجد: "لا داعي لشكرني، كنت أود أن أشارك أحدهم هذه اللحظات من عمري، التي ستصبح ذكرى جميلة يومًا ما".
ماغلين، وهي تخرج زفيرًا دافئًا: "ذكرى، آه، الذكريات، تكون بمثابة قطعة وصل تصل بين حاضرنا وماضينا، فتعيشنا مشاعر وأحاسيس عشناها في الماضي. هي بحر لا يجيد أحدنا السباحة فيه، فكلنا غارقون في بحر الذكريات، وستبقى أمواجه الثائرة تثور علينا وترمينا هنا وهناك كلما أتاحت لها الفرصة. وعلى الرغم من أن السباحة جميلة، لكنها تصبح للذكريات قبيحة ومزعجة كلما أدركنا أن نهاية هذا البحر هي الهلاك الحتمي".
فأردف مجد مكملًا لها: "الهلاك؟ ومن فينا لم يمت إلى الآن؟ فلو نظرنا إلى وجدان كل واحد منا، لوجدنا أنه مات يومًا ما، وما يتحرك هو جسد خامل، لا حول له ولا قوة. كلنا جثث قتلتنا الذكريات، كلنا ضحايا مشاعر الماضي. يبدوا لك من بعيد أن بحر الذكريات هذا هادئ وجميل، لكنه مليء بالأمواج العاتية وسرعان ما تكتشف أنك مخطئ وأن ما في داخله لهو الجحيم، لتبقى تبحر وتبحر بسفينة الأمل بحثًا عن

تلك الأحاسيس التائهة في قعر محيط الذاكرة، فلا تجد إلا أشلاء مبعثرة من وجودك تحاول جمعها، لكنك ستكتشف أنك عبثًا تحاول، وهكذا إلى أن يفنى شعورك، وعندما يفنى الشعور يموت القلب، وإن مات القلب توقف كل شيء، ولو بقيت تتحرك تصبح كالآلة، عقلك المتحكم يوجهك فقط للعمل لا أكثر. تصل إلى درجة تنسى أنك إنسان يمتلك شعورًا حتى. لهذا هنالك العديد من الجثث ما زالت على قيد الحياة.

وأخذت الأحاديث تجري بعضها البعض، إن داهم ماغلين النعاس، فقامت من مكانها وعلقت: "هيا يا بطل، ستنتهي قريبًا عطلتنا، يجب أن نعود للدراسة، لا تنسى الجامعة الأمريكية." ابتسم مجد وأردف: "أنا لم أنس، أتمنى أنك لم تنسين أيضًا." "لا، لن أتركك وشأنك أيها المتخلف."

إلى جانب آخر في تلك الخيمة التي ظننا أنها تحتوي على عيون نائمة، اكتشفنا للتو أنها لم تكن كذلك. خرج كرم وتوجه نحو خيمة أنجلي. رأت أنجلي فتظاهرت بالنوم، لكنه علق ساخراً: "هيه، انهضي يا طفلتي الصغيرة، أعلم أنك مستيقظة." لم تجد أنجلي مفرًا ففتحت عينيها لتجده جالسًا بقربها على ركبته ممسكًا بيده علبة خاتم. ارتبكت أنجلي ولم تدري ما العمل، فعلق كرم: "أنجلي، هل تقبلين أن نكمل عمرنا سويًا؟" كانت أنجلي تعلم أنهم ما زالوا صغارًا على هذا الكلام، لذلك لم تقبل الخاتم وعلقت: "كرم، لعلك فهمتني خطأ، أنا..." قاطعها كرم: "يمكنك التفكير بالأمر. سأعطيك مهلة، خذي وقتك، ولكن فكري بحكمة، أرجوك." وترك لديها الخاتم ثم خرج. فظلت تتأمله والفرحة لا تسعها، وهمست في داخلها: "نعم، أقبل."

عاد كرم إلى خيمته مرتبكًا، وعندما شاهد مجد وهو عائد، دخل إليه وضع يده على كتفه وقال: "ما بك؟ لماذا أنت متوتر لهذه الدرجة؟" أنجلي وهي ترد على سؤال ماغلين: "لقد قدم لي هذا الخاتم يطلب يدي للزواج." مجد وهو ينصت لكرم: "وماذا كانت ردة فعلها؟" أنجلي تخبر ماغلين: "لم أرد عليه، لذلك أمهلني فرصة." مجد: "لا عليك يا صاح، كل شيء سيجري بخير. تفاءل فقط."

الكاتب: آهٍ، آه، يا صديقي كرم، كم كنت أرغب أن أكون مكانك حينها، أن أمتلك شجاعتك وأن أقدم لماغلين خاتم حبنا، أن أربطها بي للأبد، لكني لم أكن أمتلك كل هذه الشجاعة. من أين يأتي بها؟ أخبرني يا صديقي، هل هذا الشيء طبيعي؟ بدأت أشك بمشاعري تجاه ماغلين، أو أني ما زلت أنتظر اللحظة المناسبة. نعم، اللحظة المناسبة، ولكن يا ترى متى ستأتي هذه اللحظة؟ لا أعرف حقًا... لا أدري.

عاد الجميع إلى ديارهم وعاد دولاب الوقت ليتحرك، وأوشكت السنة الأولى من الثانوية أن تنتهي، أو بالأصح انتهت بنجاح ماغلين ومجد وكرم وأنجلي، ورفعهم إلى الصف الثاني. جاء فصل الصيف ونشر طاقته في كل مكان، دبت الحياة بكل روح، وغدت جميعًا ترقص تحت ألسنة النيران الملتهبة. وها هي ماغلين في دارها قد استيقظت على صوت الناس المقتضب في الشوارع، ما هي إلا لحظات حتى اتصل بها مجد: "صباح الخير." "لم أستيقظ بعد يا مجد." "هذا جيد، يعني أنك لم تفطري بعد." "نعم، لماذا؟" "افتحي الباب." "ماذا، لماذا؟ ماذا هناك؟" "هيا، لا تطرحي الكثير من الأسئلة في الصباح." "حسنًا، ها أنا ذا."

سارت ماغلين إلى باب شقتها، فتحته، وقالت: "مفاجأة!!" "مجد، ما الذي تفعله هنا؟" "لست وحدي، تعالوا يا أصدقاء." كرم: "مرحبًا، لقد طال الغياب." أنجلي: "نعم، إنه كذلك." "مرحبًا، بكم جميعًا، لقد اشتقت لكم." دخل الجميع وتبادلوا السلامات والضحكات والأحاديث، وطال الوقت. استمر الصيف يشعل القوة والحماس يومًا بعد يوم، ساعة بعد ساعة.

الكاتب: أعود اليوم إلى كل تلك الذكريات الرائعة، أجمل سنين العمر، ذلك الصيف الذي كان مختلفًا من نوعه. للمرة الأولى أحب الصيف بالقدر الذي أكرهه فيه الآن. صديقتي أنجلي، تلك الفتاة الرقيقة التي كانت حساسة للغاية، كنا نخاف أن نجرحها بكلمة. وصديقي المقرب كرم كان شخصًا عنيدًا للغاية، لو وضع شيء في رأسه لم يبرح إلا ليحققه. ومحبوبتي ماغلين كانت كل هذه الصفات عنيدة بمشاعرها، رقيقة

بأحاسيسها. كنت أخشى عليها من كل شيء حتى من نفسي. كلهم باتوا اليوم سطورًا في دفاتر الذاكرة، لمحات جميلة تألف يوميات شيخوختي، ساعات تخبرني أنني عشت شبابًا رائعًا بكل المعاني. كم أتمنى أن أعود إلى كل تلك الذكريات وأضمها بقوة، لا أفلتها من بين ذراعي لكي لا تنقضي، وأن أستغل كل ساعاتي فيها. كنت أعتقد أن الآلة الكاتبة التي أكتب عليها الآن هي عذابي الوحيد، لكنني كنت مخطئًا. نعم، كم آمنت بأن الصيف يطول، ولكن تبين لي العكس. وعلمت أنه بعد كل هذا الهدوء والسكون هنالك عاصفة تنتظر خلف السحب، تمامًا كما حدث معي عندما جاء ذلك الرجل الغريب...

مطار لبنان 2002

حطت الطائرة الضخمة في مطار بيروت وترجل المسافرون منها، وجوه غريبة جاءت لاكتشاف والسياحة، وعيون مشتاقة عائدة لترى من تحب، إنهم المهاجرون. آذان ارتاحت لمجرد سماعها اللكنة اللبنانية واللغة الأم. تبًا لتلك الحياة، نظن أننا نهاجر لنبني حياة أروع، ولكننا لا نعلم أنه عندما نهاجر ندمر حياتنا الأروع. نترك خلفنا تاريخ أجدادنا ونذهب إلى أرض لم نسمع عنها إلا في الكتب أو شاهدنا مقتطفات لها عبر شاشة التلفاز. نتخلى عن قلوب هوتنا بصدق من أجل عالم لا يمثل هويتنا بشيء، أناس لا يعرفون لغة التواصل بين بعضهم البعض إلا بالعمل، كأنهم آلة بشرية متحركة، فقط تنفذ الأوامر. أتعب وكد وأصرف عرق جبينك في بلدك، فعندما تجتهد في أرضك وغيرك أيضًا يكد ويتعب في وطنه، وغيرك وكذا الآلاف، تعيدون مجد حضارتكم حينها، وحينها تبنون الأوطان. لا تبحثوا عن الأموال في الخارج، بل ابحثوا عن حياتكم وانتمائكم في أرضكم. ومن بين كل تلك الوجوه المبعثرة التي ذكرتها أعلاه، كان هناك وجه غريب لا يمتلك ملامح عربية. طويل القامة، يرتدي معطفًا أسود طويلًا، وينتعل حذاءً كبيرًا بنفس اللون. غرته وشعره طويلان، وعيونه واسعتا الأحداق. يلبس قميصًا أبيض أنيقًا تحت المعطف، وبنطالًا طويلًا بحزام عند الخصر، ويضع نظارات سوداء طبية. يمتلك معالم آسيوية، أو الأصح كورية.

انقضى الصيف بسرعة حانقة. لأول مرة أجد أقلامي عاجزة عن وصف شيء ما. عندما أردت أن أصف لكم الصيف ولياليه في لبنان، لم أجد أي عبارات تليق بالوصف، لمَ لجمال تلك اللحظات الرائعة. ما زلت أذكر عندما كان يجتمع عند أنهار الضيعة كبار وصغار، عجز وشباب، نساء وأطفال، يلهون بالزهور الملونة، يطاردون الفراشات، والصبية يلعبون الكرة، والشبان ينافسون بمن يمتلك قدرة أكبر على الغوص، فتجدهم يتباهون بأنفسهم أمام الفتيات، بعضلاتهم البارزة. فتبدأ الهمسات تنتقل بين الفتيات عن ذاك وذاك، والعجائز قد وضعوا مقاعد العمر، وأخذوا يتفاكهون بذكريات الماضي، يلقون على الدهر اللوم، يعاتبونه لأنه سرق منهم شبابهم. وتجد النسوة يحضرن الطعام، تلك تضع اللحم على المشواة وهذه تقطع الخضار. أو عن ماذا أحدثكم عن رحلات البحر في لبنان، كانت مزيجًا من الحضارة والفلكلور القيم، عطر جاء من ورود الماضي يداعب الحاضر. هذه البطيخة تسبح حرة في الماء المالح، وأيدي الشباب تشبكت وهلموا للدبكة اللبنانية. صوت الأناشيد يرتفع، صوت الحرية الذي عشعش في قلب كل لبناني. ذلك البلد الذي يعتبر فخرًا لكل عربي لأنه حقًا بلد الحضارة والجمال. هذه صورة ضئيلة جدًا عن وجه لبنان في الصيف، فماذا عن باقي الشهور؟ تلك القصة، قصة الحب التي جرت بين ماغلين ومجد أو التي عقدت بين كرم وأنجلي، كانت وليدة تلك الليالي اللبنانية الرائعة. فلا يمكنك القدوم إلى لبنان من دون أن تعشق، فالعشق يعيش في كل زاوية من زوايا لبنان. بصور تجد حب قدموس لنشر العلم، بجونية وجبيل عشق عشتار لأدونيس، صيدا رسائل ولهان صيدون العريقة التي خلدها التاريخ. بنيان لا يهزمه الزمن، ولا يبطشه كيد العدى. وفي بيروت تلك العروس، نعم، لأنها تبدو بابها صورها كالعروس ليلة زفافها، مزيج بين الماضي والحاضر، تنوع العروق والأديان، الكنائس والمساجد، عطر الأخوة والوحدة ينبعث من كل جانب منها.

بدأ العام الدراسي الجديد، المرحلة الأخرى في حياة كل من مجد، كرم، أنجلي وماغلين، السنة الثانية التي تشهد على قصة حبهم. سنة أخرى تنسج خيوط حكايتي، التي جرت في الماضي. وها أنا ذا أطير فوق السحب، وأبحر في الأعماق لكي أجد

تلك الذكرى الجميلة من العمر. ها هي تبدأ مشهدها، عندما طرق مجد باب ماغلين: "هيا، استيقظي أيتها الكسولة، سنتأخر على الدوام في أول يوم". ماغلين وهي تفتح الباب وكانت قد أعدت نفسها: "لا، لن نتأخر، ها أنا ذا".

"ما هذا النشاط، يبدو عليك متحمسة جدًا!"

ماغلين والفرحة تغمرها: "بالطبع، أريد أن أستمتع بكل لحظة من حياتي، أريد أن أحلق إلى البعيد، أن أكون حالمة وطامحة. تعلم يا مجد، أنت تقرأ هذه الأشياء بروايتك، أن العمر ثمين، وهو رهن الوقت، فعليك أن تعرف كيف تستغل الوقت ليكون وجودك ثمينًا وعمرك أجمل".

مجد وهو يعطيها الفطور الذي أعدته والدته: "معك حق، فالعمر وردة تزهو بمرحلة ما وتموت بأخرى. فعلينا أن نتمتع بهذا العمر عندما يزهو، لكي نتأقلم معه عندما يموت".

ماغلين وهي تدلي له بكوب من القهوة: "شكرًا، هذا لك".

وساروا وهم يتحدثون عن العمر وساعاته، عن جمال كل لحظة فيه، عن جمال وجوهه وقبح الأخرى، إلى أن التقيا بطريقهم بكرم وأنجلي. فعلق كرم: "صباح الخير أيها المجتهدون".

أردف مجد: "صباح الخير، لم أعلم أن أنجلي أثرت بك لهذه الدرجة. منذ متى وأنت تستيقظ باكرًا للذهاب إلى المدرسة؟"

علق كرم وهو ينظر إلى أنجلي بنظرة حب: "منذ أن وقعت في حبها".

ألحت أنجلي وجهه عندما احمر من الخجل فقاطعت ماغلين السكوت: "حسنًا، يا روميوا، هل يمكننا الذهاب؟ سنتأخر".

"حسنًا، هي بنا، سنتأخر". وصلا أنجلي وكرم وكالعادة تأخر مجد وماغلين، لذلك أوقفهم الناظر في الخلف: "أوه، مجددًا!"

"لعله كتب لما اللقاء مرة أخرى".

"اصمت، هذا يشعرني بالاشمئزاز".

ضحك مجد، قرع الجرس ودخل الجميع إلى صفوفهم، وجاء دور مجد وماغلين. ومن باب الصدفة لم يكن هناك سوى مقعدين في الخلف، فابتسم مجد: "أهلاً بزميلة المقعد".

ماغلين وهي تبتسم: "أهلاً بزميل المقعد".
جلس الأصدقاء بالقرب من بعضهم، مجد وماغلين في الخلف وأنجلي وكرم في المقعد الذي يقع أمام مقعدهم. وأخذوا يتبادلون أطراف الحديث، إلى أن عم الصمت وفتح الباب ودخل منه شاب طويل القامة يرتدي معطفًا أبيض وقميصًا أنيقًا أسود كما بنطاله الذي حده حزام قاتم اللون. وأخذ الهواء يهب ليطاير شعره الأسود الطويل مكملاً مشهد روايتي. الجميع ينظر بترقب، عيون الفتيات عليه.
"أنظري كم هو جميل!"
"إنه كوري".
"نعم، إنه رائع".
"أنظري إلى لبسه الأنيق".
هكذا أخذت الفتيات يعلقن عليه. رحبت به المعلمة ودعته للتعرف عن نفسه. وقف بكل ثبات وثقة، تنهد ثم أردف:
"اسمي سو يونغ، من كوريا الجنوبية، عمري 17 عامًا، وسأدرس معكم هذه السنة".
ابتسم الجميع وأخذت الفتيات يصفقن بحرارة. قالت المعلمة: "مجد، رجاءً هل يمكنك أن تجلس بالأمام وتعطي مقعدك لسو يونغ؟"
مجد بحيرة وحزن: "أوه، ماذا؟ آه حسنًا، لا مانع".
نظر جميع الفتيات إلى ماغلين بنظرات غيرة، ولكنها من داخلها كانت منزعجة فقد تأخرت لتجلس بقرب مجد.
"لا، لا تنهض، ابقى جالسًا هنا".
نظر إليها مجد وكانه يقول لها ليس باليد حيلة، وجلس سو يونغ بقرب ماغلين. كان سو يونغ شابًا قليل الكلام ما كان يزيد من فخامته، وكان قليلًا ما يبتسم، وهذا ما كان يعطيه غموضًا أكثر. علق بنبرة هدوء ولامبالاة، ومن دون أن ينظر إلى ماغلين حتى:
"آسف، لم أقصد هذا".
ماغلين بتجهم: "آسف، آسف على ماذا؟".
رفع سو يونغ حاجبًا من كتفيه وتنهد معلقًا:

"لقد ظهر على وجهك الانزعاج عندما نهض ذلك الشاب".
ماغلين بغضب: "له اسم، اسمه مجد".
لم يرد سو يونغ على تعليقها العصبي بل وضع حقيبته وأخرج منها كتبه وهو يقول لنفسه:
"لا بأس بها، تبدو جميلة عندما تبتسم"
الكاتب:
أصعب شعور يشعر به الإنسان هو عندما تنتزع منه شيء ثمين للغاية. تصور معي شخصًا دفع عمره بأسره وهو يعمل لجني المال وإنشاء ثروة، وعندما جمع كل هذه الثروة، خسرها بالكامل، أو شخصًا اشترى قطعة ذهب بكل ما يملك لكي يستثمر بها عندما يرتفع سعر الذهب، وفجأة تُسرق منه. ماذا سيكون شعوره عندها؟ هذا هو بالضبط الشعور الذي أحس به مجد عندما طلبت منه المعلمة تغيير مقعده. شعر أنه سرق منه أحدهم شيء ثمين، كأن أحدهم طعن قلبه بألف طعنة وطعنة من جهة بالغيرة الشديدة والقاتلة تجاه ماغلين من جهة أخرى.
قامت المعلمة بتوزيع استمارة لكل طالب، يكتب فيها كل واحد منهم الجامعة التي يرغب بالانضمام إليها. راجعت الأستاذة كل الأوراق، ولكن عندما وصلت إلى ورقة مجد، استدعته عند الغداء وقالت له وهو خارج من باب الصف:
«مجد، أرغب بالتحدث معك قليلاً.»
«حسنًا، تفضلي.»
«ليس هنا، فلنذهب إلى الخارج.»
بهذه الأثناء كانت ماغلين تنظر قدوم مجد في غرفة الطعام. دخل سو يونغ وأخذ يبحث عن طاولة يجلس عليها، لكنه لم يجد سوى الطاولة التي تجلس عليها ماغلين. ذهب إليها وقال:
«أتأذنين بالجلوس؟»
ماغلين بإحراج: «آه، حسنًا، لا مانع.»
في هذه الأثناء كان مجد يسير مع معلمته في ملعب المدرسة.
«هل تود الالتحاق بالجامعة الأمريكية؟»
«نعم، هذا صحيح، هل هناك مشكلة؟»

«لا، لا شيء، ولكن يجب عليك أن تنمي مهاراتك أكثر. إذا استمر وضعك على هذا النحو، من الممكن أن لا تستطيع.»
«إذا، ما العمل؟ إني أبذل قصارى جهدي.»
«سأجري لك اختبارًا تجريبيًا غدًا، سنستطيع من خلاله تحديد نقاط ضعفك.»
«حسنًا، سأستعد لذلك، شكرًا لك.»
تركت معلمته وأخذ يركض لكي يلحق وقت الغداء مع ماغلين. وفي هذا الوقت كانت قيود الخجل قد تكسرت بين سو يونغ وماغلين، وأخذ الحديث يتنقل بينهما وكذلك الضحكات. وقد تعرفت ماغلين على سو يونغ وهو كذلك. وأبدت له إعجابها بالدراما الكورية.
«أوه، أنتم العرب تحبونها بشدة!»
«نعم، إنها رائعة.»
«ما رأيك أن نذهب غدًا بعد الدوام لنتابع المسلسل الجديد؟»
«إنه... حسنًا، سيكون هذا جيدًا.»
سو يونغ وهو يبتسم: «حسنًا، سانتظرك.»
«يا لله، أعدها تبدو وسيماً أكثر عندما يبتسم.»
فابتسم سو يونغ وأخذت الأحاديث والبسمات تجر بعضها البعض.
عند دخول مجد، شاهدهم وهو يقف على الباب فشعر بغيرة كبيرة لا توصف، لذلك عاد أدراجه إلى صفه. دخل ولم يكن هناك أحد، فقام ووضع دعوة لعيد ميلاده في كتاب ماغلين. انتهى الدوام، فخرجت ماغلين تنتظر مجد، لكنه أتاه اتصال ضروري من والدته جعلته يخرج ويترك ماغلين. كان ذلك الاتصال يخبره عن قدوم ابنة خالته من الخارج، وهي تلك الفتاة التي قضى مجد كل طفولته بقربها.

الكاتب: أن تسألوني عن أكثر فتاة أحببتها، أقول لكم تلك التي عاشت في مخيلتي، التي رافقتني في كل لحظة من لحظات عمري، هي الفتاة التي شاركتها أحزاني قبل أفراحي، كانت معي دائمًا، حتى عندما ابتعدت عنها. وعندما أخبرتني أمي بخبر قدومها، نسيت كل شيء. تركت كل أعمالي وأسرعت للقاء تلك الفتاة التي تسكن

خيالي. مازالت كما هي، بشعرها البندقي الطويل وعيونها العسليتين، وأنفها كحبة اللوز، وشفاها الوردتين كما خداها. إنها أملي.
عندما وجدتها، رأيت في عينيها الكثير من الأسئلة، كأنها كانت تعاتبني لأني أحببت غيرها، أو خيل لي هذا؟ من كان يدري، الفتاة التي لطالما تمنيت أن تكون ملكي يومًا، اليوم لا أشعر نحوها بشيء. ولكنه ليس خطئي. عشت حياتي بأسرها وأنا أحاول أن أشرح لها مدى حبي، وهي كانت تحرق قلبي كل مرة عندما تقول إنها وقعت بحب شخص ما. كنت أظهر أن كل شيء على ما يرام، ولكن قلبي كان يتوقد نارًا.
جلست معها، حدثتها، استرجعنا كل ذكرياتنا القديمة. كنت في غاية السعادة، وأزدادت فرحتي عندما أخبرتني أنها ستكون معي في نفس الثانوية. عندها أردت الانتقام. من ماذا؟ لا أدري، لكن ذلك الشعور الذي راودني بالانتقام من ماغلين لأنها علقت قلبي بها. وما ذنبها؟ أنا من أحببتها.
حقًا، الحب الحقيقي لا يكون بالمواقف، باللحظات القيمة والجميلة بين الاثنين. الحب هو ذلك العزف الرائع الذي يتراقص معه جسدان دون توقف، إحساس جميل جدًا يبعدك عن واقع الحياة. أحببتني أملي أكثر من حبها لنفسها، وأنا أيضًا كنت أكمن لها بعض المشاعر، لكن كل هذا تغير الآن.
في اليوم التالي، لم أنتظر ماغلين، بل سرت أنا وإملي. كنت حراً طليقًا معها كما لم أكن مع أحد سواها. دخلنا المدرسة، لحظات ودخلت ماغلين.

كانت ماغلين ترغب بتأنيب مجد لأنه لم ينتظرها، ولكن تفاجأت عندما وجدتها تقف إلى جانب مجد، أنها إملي. ظلت تتسأل من هي؟ ولماذا هي مقربة من مجد إلى هذه الدرجة؟ قاطع حبل تفكيرها سو يونغ الذي يقف خلفها، وقد بدا من ملامحه أنه وقع بحب ماغلين. أعطاها كوبًا من القهوة، وسار معها إلى سطح المدرسة وصار يجرها بالكلام لكي يكتشف ما بها. كان سو يونغ يمتلك طريقة رائعة لجذب الناس إليه، ليس هذا فقط، فقد كان يمتلك وسيلة سحرية لكي يكشف ما يزعج الناس وما يخفونه. لذلك جارَ إملي بالكلام حتى أخبرته عن قرب تلك الفتاة من مجد وأنه لم يحدثها كالسابق، حتى أنه لم يعد ينتظرها في كل صباح كما كان يفعل.

أسند رأسه إلى الحائط وقال وهو يتنهد: «هذه الحياة، لا شيء يدوم بها. كل شيء يأتي له يوم وينتهي، حتى المشاعر. لكن لا تقلقي، مجد في هذه الأثناء مشغول بالدراسة. على ما أعتقد تعلمين أنه سيدخل الجامعة الأمريكية، ومن الممكن إذا أحرز معدلًا جيدًا يسافر إلى هناك.»
«إلى أمريكا؟»
«نعم، لذا لا تقلقي، أعطيه بعض الوقت. لعله مشتت الآن.»

الكاتب:
نعم، مشتت يا سو، لم أكن يومًا هكذا. كان قلبي يشتعل نارًا عندما تقترب ماغلين، وكنت أنهار عندما أرى في عيون إملي حبًا كبيرًا لا أبادله إياها. أخاف، أخاف عليهما الاثنان، فلا أود أن أخسر صديقة عمري ولا الفتاة التي أحبها. كنت أنا من يتصنع تجاهلي لماغلين لكي لا أتعلق بها أكثر، ولكن كان هنالك من يخفف عنها، من يطبطب عليها عند حزنها. كنت أنت من تجده في كل محنة، في كل ظرف طارئ. كنت أنت، من تمسح لها دموعها، أنا من تسببت بها.
اغفر لي يا ماغلين، ولكن ماذا بيدي؟ كنت أخشى أن أكسر قلب إملي، علاوة على أني لست الشاب المنشود لك. أعلم أن الأيام مرت بسرعة. كنت أتجاهلك هذه الأيام دائمًا، في كل مرة سنحت لي بها الفرصة، حتى أصبحت أنا في وادٍ وأنتِ في وادٍ. كنت أعود بعد عناء يوم شاق، أجلس في غرفتي أفرغ كل طاقة غضبي في الدراسة، حتى أنهكت. أنتِ كنت تملكينه، وأنا لم أملك أحدًا. لا أحد يعبر لي عن مشاعري، عن أحاسيسي. أحدٌ يمسح لي دموعي، يتحملني عندما أشكي له. لم يكن، لا، لم يكن هنالك أحد.
أتذكر عندما مضى أكثر من شهر لم تحدثيني، كنت أتأمل هاتفي علك تجدين فرصة لتتصلين. لكن عبثًا انتظرت. وفي يوم من الأيام، عدت إلى البيت منهكًا، تعبت لدرجة لا تتصور. كنت غاضبًا عندما بدوتِ أنت وسو يونغ قريبين من بعضكما البعض كثيرًا، وكل المدرسة تتحدث عنكما. دخلت إلى غرفتي أبكي وأصرخ من دون أي صوت. وجدتك، نعم، وجدتك تتصلين كطفل ملهوف لرؤية والدته بعد غياب.

ردّت على هاتفك، كان صوتك وكأنه يعاتبني، لا أدري كيف شعرت بهذا رغم أنك لم تبوحي بحرفٍ من العتب. سألتني إذا كنت أرغب بالتسكع معكما بمقهى ما لمشاهدة الألعاب النارية في ليلة رأس السنة. كنت على وشك أن أوافق، إلا أني رفضت عندما أخبرتني أنكِ ستذهبين مع سو يونغ.
شعور غريب، غريب جدًا. أنتِ تتعلقين بشخص ما وتجدين أن هنالك من ينافسك على هذا الشخص. أغلقت الهاتف دون أن أرد على رفضي حتى أو أبرر لكِ. ولكن اكتشفت فيما بعد أنني كنت مخطئًا، بسبب بعدي عنكِ هذه الفترة القصيرة. بدوت كأنك لم تعرفيني يومًا. نعم، كنتِ غريبة عني. أتذكرين عندما قابلتك في ذلك الصباح قبل نهاية العام الدراسي الثاني من باب الصدفة، عندما تمنيتي لي التوفيق؟ كنت وكأني أقابل شخصًا غريبًا، رغم أنني أحفظ حركاته وكلماته وتفاصيل وجهه، أعرف ما يخفي وما يبدي.
كنا كأعز أصدقاء، ولكن عندما نظرت في عينيكِ، بحثت عن وجودي هنالك، ولم أجد كيانًا لنفسي. كان هنالك سدًا من مشاعرك يقف حاجزًا بيني وبينك. أو هكذا خيل لي.
رأيت حينها أنني لم أعد بقلبكِ. هنالك شخص غيري احتل قلبكِ مكاني. القلوب مستوطنات، يستوطنها الأقوى. يحضنها بدروع الاهتمام، ويمد جيشه القوي عددًا وعدة على حدود القلب لكي لا يدخل أحد غيره. وتلك الجميلة التي لم أدرك ولم أقدر يومًا حبها، إملي، رغم أنكم دعوتها إلى التسكع معكما، ولكن عندما علمت برفضي، رفضت. وجاءت إلي، كانت تحفظ كل ما أحب، وكل ما أكره، كانت على إطلاع بأصغر تفاصيل شخصيتي.
عندها جلست معها، لا أذكر بماذا حدثتها، لماذا أخبرتها؟ ولكن تحدثت كثيرًا وكثيرًا، فتحت لها قلبي وأفرغت كل ما فيه. تعلم هي بحبي لكِ، ومع هذا لم تستسلم...

مضت الأيام بل الشهور، وانتهى الفصل الثاني من الدراسة. أحرز مجد معدلًا كافيًا لكي يسافر خارج البلاد، ولكن ماغلين لم تحرز سوى ما يخولها لدخول الجامعة الأمريكية. في هذه الأيام اكتشف مجد مدى حبه الكبير لماغلين، وقرر أن لا يتخلى

عنها، أن يصلح كل ما دمر. ما زال هناك وقت، هكذا أخبرته إملي وهي تحزم حقيبة سفرها لكي تترك البلاد وتعود من حيث أتت.
لقد قضت عمرها بالخارج وهي تنتظر لحظة اللقاء بمحبوبها، ولكن اصطدمت بجبل من الجليد تحول بينها وبينه عندما عادت للوطن. لذلك، فشلت بمهمتها، ولم يعد لديها أي سبب للبقاء. رغم أن مجد ترجاها أن لا ترحل، وأخبرها أنها صديقته الوحيدة التي يثق بها، ويتعلق بها، لكنها وجدت في قرار الرحيل الحل الأنسب له ولها، لعلها تجد رجلًا ما تتزوجه بالخارج.
ركض مجد يبحث عن ماغلين ليعترف لها بصدق مشاعره، أن يصرخ بأعلى صوته أنه يحبها، يضمها، يحملها، يطير بها إلى مملكتهم الخاصة التي لا يصلها دنس البشر. بحث وبحث، فالتقى بكريم وأنجلينا، فعلق كريم منادياً مجد:
«مجد، عن ماذا تبحث؟»
«أبحث عن ماغلين، هل رأيتها؟»
أردفت أنجلي:

«تذهب إلى احتفال الربيع الليلة عند الجبل، سيشعلون الألعاب النارية، ستذهبين أليس كذلك؟»
مجد: «بالطبع...»

غربت الشمس وأطل القمر من خلف الغيوم فرحًا مبتهجًا، وبدأت احتفالات الربيع. وقفت ماغلين وسو يونغ، وبقربهم كان يقف كرم وأنجلي. في تلك الأثناء كان مجد يوصل إملي إلى المطار. كانت تنظر كل الطرق إلى عينيه، علمت أنه هنالك أمر هام، فعلقت: «اذهب، لعلك تراه، لا تزعجها أكثر».

أوصلها مجد وأخذ يركض ركضًا من أجل أن يدرك ماغلين قبل الساعة الثانية عشرة ليلاً. سكون تام، عيون تترقب السماء الصافية المرصعة بالنجوم الحالمة. وفي لحظات، أُطلقت أصوات المفرقعات التي مزقت سكون الليل. فجثا كرم على ركبته وأخرج من جيبته الخاتم:

«لم تردي علي من قبل يا أنجلي، وها أنا ذا أطلب منك للمرة الثانية، هل تقبلين أن تكمِلِي العمر معي؟»

قبل أن تتفوه بكلمة أو تعلق، كان سو يونغ قد فعل ما فعله كرم، جثا على ركبته وأخرج خاتمًا وقدمه لماغلين:

«لقد أحببتكِ منذ المرة الأولى التي رأيتكِ فيها، تعلقت بكِ كثيرًا حتى أصبحتِ شخصًا مهمًا من حياتي، بل أصبحتِ هي. أكاد لا أستطيع العيش دون أن أراكِ».

هنا وصل مجد، فشاهد ما حدث من بعيد، لكنه لم يفعل شيئًا. تجمد في مكانه، وتحولت نظرات ماغلين من فرح وحماس إلى حزن ويأس. هز رأسه بهدوء، وانتثرت الدموع الثائرة فوق خديه. ثم لف ظهره وهو ينظر إلى ماغلين النظرة الأخيرة، دون أن يسمع ردها...

لقد وافقوا. وافقت أنجلي على أن تتزوج من كرم. لا يوصف شعوره حينها، كاد يرفرف من السعادة. أما عن ماغلين، فقد علقت: «سو يونغ، أنت صديق حيد، ولا أخفي عليك، أكن لك بعض المشاعر لكني بحاجة إلى وقت.» ثم أدارت ظهرها ورحلت وهي مصدومة.

وقت، نعم كانت بحاجة إلى وقت، على أن يعود مجد إليها. علها تستطيع بهذا الوقت الضئيل أن تعاود علاقتها مع مجد. وأرادت أن تحدثه في صباح اليوم التالي. هيأت نفسها قبل أن تخرج إلى جامعتها في يومها الأول، وتوجهت إلى بيت مجد. طرقت الباب، ففتحته نادين:

«أملي، لم أركِ منذ مدة طويلة، أدخلي.»
«لا، لا أريد. أريد فقط أن أرى مجد قبل أن أرحل.»

«مجد؟ لقد رحل.»
«رحل إلى الجامعة؟»
«لا، لقد وافق بالأمس على السفر إلى الخارج، وطائرته كانت قبل ثلاث ساعات، لبد أنها أقلعت منذ مدة.»

تفاجأت ماغلين، لكنها تنهدت بصمت وأردفت: «حسنًا، أراكم، وداعًا.»

قرر مجد السفر إلى الخارج علَّه ينسى ماغلين، أن يبدأ حياة أخرى بعيدًا عنها، أن يكمل دراسته. لعله بهذا الفعل يصنع حياة جديدة له. أما عن ماغلين، فقد علمت أنه لم يعد هنالك وقت. لقد بكت بداخلها وبكت كثيرًا. وها هو كرم يرتدي بذلة عرسه ويتزوج من أنجلي...

الكاتب:
عندما يلمع الأمل في عينيك للحظة، تظن أنك أمتلكت العالم بأسره، كأن الكواكب والنجوم كلها تقلصت وصارت بين يديك. ولكن تتفاجأ بالواقع المؤلم، فأنت لست وحدك في هذا العالم لتملكَه بأسره، ولا النجوم والكواكب ستتقلص. عندها يتحطم كل ركن من أركان وجودك.

لا أدري ما الذي دفعني لترك أهلي وأحبتي، وأن آتي إلى هنا من أجل أن أدرس. ربما لأنني في ذلك الوقت أردت فقط الهروب، التمرد على كل شيء، أن أذيقها وجعًا غذَّته لقلبي، أن أكسرها كما كسرت قلبي. لكن ها أنا ذا أكتشف شيئًا فشيئًا، أني لم أؤذِ سوى نفسي، ولم أكسر سوى قلبي. وكلما مضى يوم اكتشفت عمق محبتي لها. هل ما زلت أحبها؟
«نعم.» وسأبقى، كانت وما زالت حبي الأول والأخير.

دخلت الجامعة هنا في أمريكا، كما توقعت. عادت بعيدة عن عاداتنا، فكرتها لا تشبه فكرنا. رغم كل شيء كنت أسمعه عن هذه البلاد، إلا أنني أمقتها. نعم، لأنني أشعر

هنا أنني رجل آلي فقط يعمل، يلبي حاجات تلك البلاد. لا أقول أن هذا ليس جيدًا، ولكن الإنسان يجب عليه أن يشعر أنه إنسان. كم أحن إلى ربيع بيروت، حيث تزهر قلوب البشر، وحيث تطربنا أناشيد الثورة الحماسية. كم أشتاق للصيف في بساتين قرى الجنوب، حيث ألهو وأحيا وأعيش وأصنع أجمل وجود.

أعشق الشتاء في شمال وغرب لبنان، فهو يعكس صورة السلام الحقيقية. لا تضعوا صورة طائر حمام بمنقارها غصن زيتون، بل ضعوا صورة من أحد جبال لبنان الشامخة في الشتاء لتدل على السلام. عشت هنا وأنا أتوق في كل لحظة أن أعود إلى لبنان، بلد الحضارة والثقافة والجمال. إذا زرتم يومًا لبنان، رجاءً بلغوه عني السلام. أخبروه أنني لم أنساه يومًا، وقد أخبرت أحاديثه للأمريكان. قبلوا أمي بيروت، تلك التي يوجد بحضنها الأمان. وأرسلوا تنهيدات شوقًا لجنوبه الصامد المقاوم الذي ينبت الشجعان. وضموا شكله وغربته حيث يتجلى الوجود بنفحة من هواء زهرة البيلسان.

رجاءً، أبلغوا معكم سلامي للبنان.

مضت سنوات وأنا بعيد عن كل من أحب. كانت أيامي عبارة عن عمل ودراسة، إلى أن قصدتني إملي في يوم من الأيام. سمعت طرقات باب داري، ارتجف قلبي. لم يطرق هذا الباب أحد منذ قدومي إلى هنا. فتحت الباب، وشعرت بسعادة عارمة عندما رأيت صديقة طفولتي بالباب. وددت لو أحتضنها حينها، لكن تمالكت نفسي.

عشنا معًا فترة، إلى أن جاءت ليلة ميلادي التي نسيتها في دفاتر الذاكرة. كنا جالسين، اقتربت إملي وجلست بقربي وقالت وهي تنظر إلى عيني:

«مجد، قد تستغرب من قولي هذا، ولكن أنت الشخص الوحيد الذي أشعر بقربه بالأمان. أمني أن يتوقف الزمان بقربك وأن أبقى معك، ولكن لا أستطيع التحمل أكثر. مجد، أنا أحبك.»

سادت لحظات صمت. كانت عيون مجد تتأمل إملي. اقترب منها وعلق:
«إملي، تعلمين أننا تربينا معًا و...»

لكن إملي لم تعطه فرصة للكلام أو التعليق. قاطعته قائلة:
«لن أنتظر منك جوابًا، ولا أريد هذا. أنا فقط لم أستطع التحمل أكثر. أعلم أنك لم تبادلني ذات الشعور وأنك تحب ماغلين. لذلك، إذا كنت أحبك بصدق يجب علي أن أضحي. مجد، سيكون زفاف ماغلين نهار غدٍ على سو يونغ. قم، امنع هذا الزفاف، حارب من أجل الحصول على من تحب.»

دمعت عيون مجد عندما سمع الخبر، فعلق:
«وأنتِ؟»

فعلقت وهي تمسح دمعة هاربة على وجنتها:
«أنا، سأعود أدراجي. لا حاجة لي للبقاء أكثر. لكن سابقًا كنت أنتظر منك أن تأتي يوماً ما. وداعًا.»

ختمت إملي كلماتها وهي تخرج من الباب مع حقائبها. أما مجد فسرع إلى المطار من أجل العودة إلى الوطن، لكي يمنع زفاف الفتاة التي يحبها. أن يصرخ بأعلى صوته أنه يحبها، ويستمع لنصيحة إملي: «إن أحببت بصدق، فعليك أن تحارب الدنيا بأكملها من أجل من تحب.»

كان الحفل صاخبًا، وماغلين ترتدي فستانًا أبيض اللون مطرزًا كما يخيل لكم فساتين الزفاف. الكل سعيد، يتبادلون النكات والمزاح. وها هو مجد يحط رحاله في مطار بيروت، وأخذ يركض بكل قوته إلى أن وصل إلى قاعة الزفاف. ولكن كان الأوان قد فات، والزفاف قد انتهى. شاهد ماغلين وهي تركب السيارة مع سو وتودع أهلها.

فزرف دمعة حانقة على وجهه، واستدار معلنًا نهاية قصة حبه. عائدًا أدراجه وحيدًا فريدًا إلى أمريكا، لم يستطع حينها لا الحصول على نفسه، ولا الحصول على حبِّه.

بعد مرور سبعة عشر عامًا من الزواج

نعم، تزوجت ماغلين من سو يونغ وعاشت معه أسعد أيام حياتها محتفظة بذكريات حبها الأول والجميل لنفسها....

أشرقت الشمس مرحًا، سعيدًة، دخلت ماغلين غرفة ابنتها الكبرى، وعلقت وهي تفتح الستائر:

(هيا ستتأخرين على ثانويتك.)

(أمي، دعيني أنام قليلاً بعد.)

الأم ممازحة: (هيا يا كسولة، لا وقت نضيعه. سأذهب معك اليوم.)

(أمي، لم أعد صغيرة.)

(أعلم، ولكن المديرة طلبت حضوري.)

سار الاثنان في طريق الثانوية، وإذا بهما يقطعان طريق بيت ماغلين ومجد القديمين. ابتسمت ماغلين بحرقة، ركضت ابنتها وسبقتها عندما أطالت ماغلين الوقوف:

(انتظريني يا أنجلي.)

لم تسمعها ابنتها فقد قطعت أشواطًا دونها، فراحت مسرعة خلفها. لم تشعر بنفسها إلا وهي تصطدم بأحدهم. وقعت الكتب من يده، نظرت إليه. غطى الشيب

شعره، وانحنى ظهره، وذبلت معالمه. عرفته ولكنه لم يعرفها. همست بصوتها، وقلبها يكاد يخرج من موضعه، وكأن سنين الغياب تلك التي خالت بها أنها تختطها لم تكن:

(مجد.)

دمعت عيناه عندما عرف من هي. أراد أن يضمها بقوة، لكن هنالك شيء منعه. ابتسم وهو يدفن حزنه، وأردف:

(ماغلين، كيف حالك؟)

صوته بعث في ضلوعها الحياة، فعادت ماغلين إلى ابنة الستة عشر عامًا. طال الصمت، ومعه طال العتاب، ولكن فجأة علق مجد بكلمات قبل أن يأخذ كتابه ويرحل:

(أحبك، ماغلين.)

ظلت هي متسمرة في مكانها. لقد سمعت منه تلك الكلمة، ولكن قد فات الأوان الآن. ابتسمت بصمت ومسحت دموعها وهي تراه يذهب، فالتفت ظهرها، وعلقت قائلة:

(وداعًا يا أجمل وهم عشته في حياتي.)

الفصل الثالث

(على ضفاف الذكريات»)

بعد مرور مدة طويلة

مضت كل هذه السنين، وشبابي مضى كذلك...

وأصبحت اليوم عجوزًا في ذروة المشيب، كأن هضاب الحلم قد غطاها التجاعيد، أحلامي ماتت منذ سنين. أكتب لكم الآن قصة حبي المجهولة في دفاتر العاشقين، رواية غريبة، ولكن حكتها بكل مشاعري الصادقة، قصة غريبة، خطّيتها بوجودي المتمرد بأحاسيسي الغريبة. لا أدري كيف مرت كل هذه الأيام والسنين؟ كيف انقضت كل تلك الذكريات؟ متى شبت ومتى انقضى هذا الشباب؟

لم أتزوج، فما زلت أحب ماغلين أكثر من نفسي، بل الأصح لم أحب غيرها يومًا. لم أعرف أو أسمع عنها شيئًا منذ مدة طويلة، أو بالأحرى منذ المرة الأخيرة التي شاهدتها بها بفستان الزفاف الأبيض. تلك الصورة وحدها هي التي أتخيل بها ماغلين. لم تكتب لي ولم أكتب لها، فهذه نهاية كل قصة حب.

توفي منذ قريب صديقي كرم، وتزوجت إملي من رجل أوروبي، وأنجبت ماغلين طفلتين كانتا من المفترض أن تكونا مني. لعلكم تسألون: وماذا عن لبنان؟ هل عدت؟

بالطبع لا..

تركته تذكارًا جميلًا بالذاكرة، تركته حلمًا جميلًا. احتفظت بمدينة الحب، بيروت، بذاكرتي إلى الأبد، وبقيت أنا وحيدًا مع بقايا من ذكريات الشباب الجميل، بقايا من قصة حب مشتتة عشتها وعاشت معي. وهكذا صارت أيامي حتى يبست وردة عمري.

(لم يُكتب لنا اللقاء.) هكذا كان جوابي على سؤال طرحته ذات يوم على نفسي: ونلتقي يومًا ما؟

لا، لم نلتقِ...

(في الختام اقول شكراً)

أعيش في صمتٍ طويل، حيث تمر الأيام كأنها حلم بعيد. تتناثر الذكريات أمامي، بعضها حلو، وبعضها مر، ولكن ما يربطها جميعًا هو ذلك الوجع الذي يشعر به القلب، وكأن الزمن يمر ليترك خلفه فراغًا لا يملؤه شيء. شكراً لهم، أولئك الذين كانوا جزءًا من حكاياتي، الذين زرعوا في حياتي ذكريات جميلة رغم ما فيها من ألم.

شكرًا لماغلين، التي علمتني أن الحب لا يموت بسهولة. شكرًا لها لأنها كانت النور الذي أضاء لي طريقًا، حتى وإن انتهت رحلتنا. كانت ذكرى لا تذبل، وحبًا لا ينسى.
شكرًا لسو يونغ، الذي أخذ مكانًا في قلب ماغلين، وأصبح جزءًا من حياتها. رغم أن طريقنا افترق، كنت أنت من أضأت طريقها، وكنت أنت من منحها السلام الذي لم أتمكن من منحه لها. شكراً لك لأنك كنت الشخص الذي وجد في ماغلين ما لم أكن أراه، وجعلتها تشعر بالأمان الذي طالما تاقت إليه.

شكرًا لكرم، الذي كان رمزًا للعطاء والصمت. لم يطلب شيئًا، ولكن ظل حاضرًا في الذاكرة كنبع لا ينضب من النبل والوفاء.

شكرًا لأنجلي، التي كانت الأمل بين الحطام، والشعاع الذي يضيء في الظلام. كانت لحظة سكينة وسط العواصف، وذكراها تظل في القلب.

شكراً لهم جميعًا، لأنهم شكلوا معًا جزءًا من حياتي التي لا أستطيع نسيانها. مهما مضى الوقت، ستظل ذكرياتهم جزءًا مني، تذكرني بأيام كنت فيها كاملًا، حتى في لحظات الوجع.

شكراً لكم أنتم يا من سافرت معي في أعماق هذه الحكاية...

شكراً من القلب

ـعمر المغربي